المجلد ٣٨ – العدد ٦

ربيع الثاني وجمادي الأول ١٤٤٧هـ تشرين الأول – أكتوبر / ٢٠٢٥

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية،
تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.

إخـــلاء المســـؤولية: تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

المحتويات

أكتوبر 2025 | المجلد 38 | العدد 6

ربيع الثاني وجمادى الأولى 1447 هـ / أكتوبر - تشرين الأول 2025

2 | **كلمة التقوى**
سبيل الخلاص من جاهلية العصر

4 | **في رحاب القرآن**
الإصلاح الرباني بالوصف القرآني للنبيين بالهداية والاجتباء

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
فضل أصحاب رسول الله ﷺ جميعا

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
من أسرار اسمَي "محمد" و"أحمد"

10 | **جوانب من تشريعات الإسلام على هامش سيرة حمزة بن عبد المطلب** رضي الله عنه خطبة الجمعة ٢٠٢٢/١٢/٣٠

21 | **إني قد عرفت إمام زماني (قصيدة)**
سامح مصطفى

22 | **حادثة الإفك، ونظرة في ملابساتها وبواطن أطرافها**
حلمي مرمر

26 | **هل تعيش الإنسانية عصر جاهلية ثانية ؟!**
د. منى محمد

32 | **الاضطراب الاكتئابي وعوز فيتامين أشعة الشمس**
د. ثمر حفيظ

على الرغم من أن هذا العصر شهد إعلان أعظم المواثيق الحقوقية وأكثرها شهرة، إلا أنه في الآن نفسه العصر الذي تُداس فيه أقدس الحقوق تحت أقدام أخبث الأهواء! فما من وسيلة إلى الخلاص من بلايا هذا العصر إلا بحبل الله الذي يرسله (عز وجل) لإنقاذ العالم.

سَبِيلُ الخَلاصِ مِنْ جَاهِلِيَّةِ العَصْر

الإنسان أكثر الكائنات الاجتماعية تناقضا وإثارة للجدل، فخلافا لكافة الأحياء المعروفة بالصفة الاجتماعية في عالم الحيوان، نرى الإنسان وحده يسعى في سبيل البقاء إلى القضاء على بني جنسه، لهذا فإنه يعدم أحيانا خُلُق المواساة، فيمسي وحشا بالتدريج. وطالما جاءت الرسالات السماوية من الله تعالى لتقلّم لذلك الوحش مخالبه، وبالفعل تنجح في ذلك إلى حين، ولكن، ولحكمة يعلمها الله تعالى، تنمو مخالب ذلك الوحش من جديد، فيرسل الله تعالى من يقلم تلك المخالب كل مرة، وهكذا دواليك، والحياة سِجال وتغيُّر أحوال. وفي سبيل البقاء المنشود ما زالت الإنسانية تبحث عن الوصفة المثلى، فنشأت فروع العلوم الطبية التي تبحث في الشيخوخة وأسبابها ووسائل القضاء عليها، أو بالأحرى تأخيرها إلى أقصى حد ممكن، بل وقد شاعت في الآونة الأخيرة أقاويل حول فكرة هزيمة الموت، وسبحان الحي الذي لا يموت! لقد اهتمت الإنسانية المعاصرة بالبقاء الجسماني ولوازمه من أكل وشرب وما إلى ذلك، على الرغم من أن هذا النوع الأدنى من البقاء لم يكفلْ لها الرضا في أي عصر مضى، ولا يُتَوقَّع أن يكفل لها أي رضا في المستقبل، بدليل أن رخاء العيش لم يحُل دون نشوب القلاقل والثورات في العديد من المجتمعات المتقدمة ماديا، ولم يحد من ظاهرة الانتحار غامضة الأسباب في تلك البلدان المتحضّرة، بل لم يحد من معدلات الجريمة في تلك المجتمعات.. ولكن مهلا، فإننا لا نقصد من هذه الأمثلة أن نحقّر من قيمة التقدم على الصعيد المادي، إننا نعد جميع أشكال الرقي المادي، بما يُسهل سُبُل الحياة ويَعمُر الأرض، من قبيل العمل الصالح الذي تدعونا إليه رسالات السماء، شريطة ألا يتوقف الإنسان على هذا الجانب وحده من جانبي التقدم، وإلا بات كذي ساق واحدة، فأنى له المُضِيُّ سويًّا على صراط مستقيم؟! ففي سبيل السير السوي يتحتم على الإنسانية ألا تُغفل الجانب الآخر من جانبي التقدم، ألا وهو التقدم على الصعيد الروحاني، وإذكاء جذوة المواساة، تلك الجذوة التي لو خمدت، لا سمح الله، فإن البرد لا محالة يسري في الشعور الإنساني كما يسري في الجسد الميت. وفي سبيل الإبقاء على جذوة المواساة الإنسانية متقدة، فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية، ممثلة في الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، لم تبرح تواسي خلق الله تعالى جميعا مُرسية بمواساتها مبدأ الإخوة الحقيقية في الإنسانية بغض النظر عن فوارق الدين واللون والعرق والرأي، ودون ذلك الجاهلية بكل مساوئها وخبائثها.

وهو مشروع نصرت جيهان، ذلك المشروع الإنساني الذي اكتسب من اسمه الحظ الأوفر، فكان منذ تدشينه في عهد خليفتنا الثالث حضرة مرزا ناصر أحمد (رحمه الله) مشروعًا لخدمة وخير العالم، دون أدنى تمييز، فكانت انطلاقه من أكثر بقاع العالم تهميشًا، في أفريقيا! فاليوم لسان حال أفريقيا يردد مقولة ابنها بلال ﷺ: "أَحَدٌ، أَحَدٌ"، وَأَضْحَتْ تلك الأرض الطيبة المقهورة زمنا منارة من منارات التوحيد بعد أن كانت بفعل التحضُّر الغربي مصدرًا لتجارة العبيد...

لقد اجتهد الساسة والنشطاء في صياغة مواثيق لحقوق الإنسان، وكسوا تلك المواثيق بثياب القداسة، ثم لما بدا لهم أنها لا تتفق وبعض أهوائهم ضربوا بمقدساتهم تلك عرض الحائط، ولَجُّوا في جاهلية ثانية، أعاذنا الله تعالى منها بفضل المدد المستمر من مكارم الأخلاق، والذي يتنزَّل علينا من لدن خلافة راشدة، من لا يلتحق بها، راح مأسوفًا عليه في طوفان جاهلية عصر المعلومات والرفاهية المادية وحقوق إنسانٍ معلَنةٍ وغير مُفعَّلة.

فالشواهد على مساعي الخلافة الراشدة المحمودة لإنقاذ الإنسانية من الغرق في لجج الجاهلية أكثر من أن تُحصر في كلمات موجزة، يكفي أن نستلَّ مثالا واحدا، وهو مشروع نصرت جيهان، ذلك المشروع الإنساني الذي اكتسب من اسمه الحظ الأوفر، حيث تم من خلاله إنشاء المستشفيات والعيادات وإرسال الأطباء والممرضين المتطوعين لتقديم الخدمات الطبية مجانا، كما تم تاسيس المدارس والمعاهد وتقديم المنح الدراسية لمستحقيها. فكان منذ تدشينه في عهد خليفتنا الثالث حضرة مرزا ناصر أحمد (رحمه الله) مشروعًا لخدمة وخير العالم، دون أدنى تمييز، فكانت انطلاقه من أكثر بقاع العالم تهميشًا، في أفريقيا! فاليوم لسان حال أفريقيا يردد مقولة ابنها بلال ﷺ: "أَحَدٌ، أَحَدٌ"، وَأَضْحَتْ تلك الأرض الطيبة المقهورة زمنا منارة من منارات التوحيد بعد أن كانت بفعل التحضُّر الغربي مصدرًا لتجارة العبيد.

وفي عدد أكتوبر ٢٠٢٥ تعرض أسرة التقوى مادة ذات صلة بالانتقال من عصر جاهلية إلى الحياة النورانية، حيث يصطحبنا سيدنا أمير المؤمنين (أيده الله تعالى بنصره العزيز) فيطلعنا على جَوَانِبَ مِنْ تَشْرِيعَاتِ الإِسْلامِ عَلَى هَامِشِ سِيرَةِ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﷺ، فيرينا خلالها من سير بعض الصحابة الكرام كيف أنهم أحدثوا تغيُّرًا ملحوظا في أنفسهم والعالم من حولهم بالهجرة الروحية من الجاهلية إلى الإسلام. يلي ذلك باقة من المواد المتنوعة، ما بين شعر ومقال.. ندعو الله تعالى أن تكون كل كلمة سطرت في هذا العدد سببًا في إصلاح الأقوال والأعمال.. اللهم آمين.

الإصلاح الرباني بالوصف القرآني للنبيين بالهداية والاجتباء

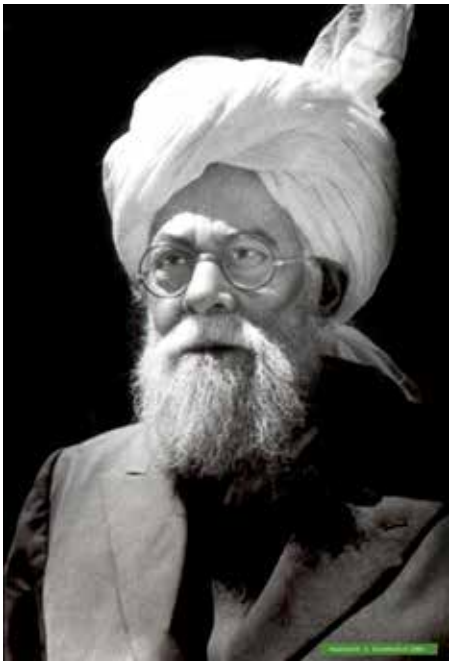

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٩﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٦٠﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦١﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦٢﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾
(مريم ٥٩)

التفسير:

هنا يذكر الله تعالى نتيجة البحث الذي سبق بيانه ويقول ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم مِن النبيين مِن ذرية آدمَ﴾.. أي بالرغم من كل النعم والصلات التي نزلت على زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس عليهم السلام، فإن هؤلاء كلهم لم يكونوا أكثر من بشر. لا شك أنهم كانوا أنبياء الله تعالى، ولكن لم يكن أحد منهم إلهًا أو ابن الإله أبدًا. فلو تدبرتم في أحداث حياة المسيح أو موسى أو إبراهيم أو غيرهم لوجدتم أنهم كانوا من ذرية آدم أو من أولاد الذين حملناهم مع نوح في السفينة أو من أولاد إبراهيم أو إسحاق. وهؤلاء الذين هديناهم واصطفيناهم إذا تُليت عليهم آيات الرحمن كانوا يخرّون ساجدين باكين، لأنهم كانوا يؤمنون بأن الله تعالى هو وحده ربهم.

وقال المفسرون هنا إن قوله تعالى ﴿مِن ذرية آدم﴾ إشارة إلى إدريس، وأن قوله تعالى ﴿وممن حملْنا مع نوح﴾ إشارة إلى إبراهيم وحده، وقوله تعالى ﴿ومِن ذرية إبراهيم﴾ إشارة إلى إسماعيل وإسحاق ويعقوب. كما أنهم يرون أنه هناك محذوفًا قبل قوله تعالى ﴿وإسرائيل﴾، والتقدير «ومِن ذرية إسرائيل» وفيه إشارة إلى موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى (القرطبي، وصفوة التفاسير). وكأن هذه الكلمات تضمنت قائمة الأنبياء المذكورين من قبل، حيث قيل إن هؤلاء كلهم كانوا عبادًا لنا

لقد ورد في الإنجيل أن المسيح قال: «جميعُ الذين أتوا قبلي هم سُرّاقٌ ولصوص» (يوحنا ١٠: ٨). فترى أن كلا الفريقين يعتبر أنبياء الله تعالى آثمين. فيعزو إليهم اليهود الإثم تغطية لذنوبهم هم، وأما المسيحيون فيعدّون أنبياء الله من العصاة لكي يُثبتوا أن جميع هؤلاء كانوا آثمين فلا يمكن أن يكونوا سببًا لنجاة الآخرين، وإنما النجاة في الإيمان بكفارة المسيح. فلكل واحد من الفريقين هدف محدد لتأثيم أنبياء الله تعالى. وردًّا على هذه الأفكار من الطرفين قال الله تعالى أن هؤلاء كانوا ﴿ممن هدينا واجتبينا﴾، مؤكدًا أن هؤلاء لم ينالوا من قبلنا هذا اللقب عن فراغ وعبثًا،

﴿وممن هدينا واجتبينا﴾.

هنا ينشأ سؤال وهو: ما هو معطوف عليه لقوله تعالى ﴿وممن هدينا واجتبينا﴾؟ أرى أنه عطف على قوله تعالى ﴿مِن النبيين﴾.. أي أن أولئك النبيين كانوا ممن هدينا واجتبينا.

وقد يقال هنا: ألا يكون الأنبياء من أهل الهدى والاجتباء حتى يؤكد الله تعالى أنه هداهم واجتباهم؟ فما دام تعالى قد سماهم أنبياء فكونهم من المهديين والمجتبين أمر مفهوم. فلماذا ذكر الله على حدة أنه هداهم واجتباهم؟

فاعلم أن الإنسان يوصف بصفة معينة دفعًا لإشكال معين عنه. ومن الثابت البيّن أن الأنبياء قد اتُّهموا في الديانتين اليهودية والمسيحية بالإثم والخطيئة عمومًا. اقرأ الكتاب المقدس فستجد فيه أن اليهود قد رمَوا نوحًا عليه السلام بتهم بشعة، وعزوا إلى لوط عليه السلام أفعالاً نجسة، واعتبروا داود عليه السلام آثمًا، وعدّوا هارون عليه السلام عاصيًا. فما من نبي إلا وقد جعلوه من الخطاة الآثمين (التكوين ٩: ٢٤، و١٩: ٣١-٣٦). بل لقد ورد في الإنجيل أن المسيح قال: «جميعُ الذين أتوا قبلي هم سُرّاقٌ ولصوص» (يوحنا ١٠: ٨). فترى أن كلا الفريقين يعتبر أنبياء الله تعالى آثمين. فيعزو إليهم اليهود الإثم تغطية لذنوبهم هم، وأما المسيحيون فيعدّون أنبياء الله من العصاة لكي يُثبتوا أن جميع هؤلاء كانوا آثمين فلا يمكن أن يكونوا سببًا لنجاة الآخرين، وإنما النجاة في الإيمان بكفارة المسيح. فلكل واحد من الفريقين هدف محدد لتأثيم أنبياء الله تعالى. وردًّا على هذه الأفكار من الطرفين قال الله تعالى أن هؤلاء كانوا ﴿ممن هدينا واجتبينا﴾، مؤكدًا أن هؤلاء لم ينالوا من قبلنا هذا اللقب عن فراغ وعبثًا، بل كانوا بالفعل ممن هداهم الله واصطفاهم. إنكم تتهمونهم بمعصية الله تعالى مع أنهم كلما تُليت عليهم آيات الله خروا له ساجدين باكين.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا *﴾ (مريم ٦٠-٦٢)

شرح الكلمات:

غَيًّا: الغيُّ: الضلالُ؛ الخيبُ؛ الانهماك في الجهل؛ الهلاك (الأقرب).

وورد في المفردات: «الغيُّ جهلٌ مِن اعتقاد فاسد.»

التفسير:

لقد بين الله تعالى هنا أن أمم هؤلاء الأنبياء فسدوا رويدًا رويدًا حتى بلغ بهم الأمر أنهم لم يلتزموا بأداء الصلاة، أو أنهم

فقدوا الرغبة في الدعاء، واتبعوا الشهوات.

واعلم أن من معاني الشهوة الزنا أيضًا، ولكنها لم ترد هنا بهذا المعنى، بل يعني أنهم اتبعوا الاجتهادات الخاطئة والتأويلات الباطلة التي فسروا بها كلام الله بحسب أهوائهم، فكان عاقبة أمرهم الضلال.

الحق أن الإنسان إذا لم يفسر كتاب الله بحسب ما ورد في الكتاب نفسه، وفسره وفق اجتهاده، زلت قدمه إلى التأويلات الخاطئة تدريجيًّا، فيهلك في نهاية المطاف. ذلك أن ذلك الكتاب هو الذي فتح باب الهدى والنجاح والعلم والنجاة، ولكن المرء لو حاول أن يقحم في هذا الكتاب أمورًا جديدة بناء على ما يمليه عليه عقله واجتهاده لاشتبه هدي الله الموجود في الكتاب. وبما أنه يتبع أهواء نفسه فإن الدمار يحيط به ويهلكه.

ومن الانهماك في الجهل أن يتبع الإنسان ما لا صلة له بإصلاح الحالة الروحانية أو بقرب الله تعالى، وإنما يشتغل باستخراج الجديد من النكات والطرائف، فينحرف عن الحق والمعرفة أكثر فأكثر.

ذات مرة حضر أحد المشايخ إلى الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام، وقال له: لقد جئتك لأني أقوم بوعظ الناس، والوعظ يتطلب أمرين: المبكياتُ والمضحكاتُ.. أي ما يجعل الحضور يبكون ويضحكون. وبما أنك قد طالعت كتبًا كثيرة وضخمة، فأرجوك أن تدلني على كتاب يحتوي على المبكيات والمضحكات حتى أنتفع به في وعظي.

والإنسان يتبع مثل هذه الترهات والتوافه عندما يتردى. حينما لا يكون عند الناس عادة التدبر في كتاب الله تعالى يتجهون إلى غرائب القصص والأساطير، ثم يظنون أنها هي التفسير لكلام الله تعالى.

لقد وجدت بعض المفسرين القدامى قد ذكروا في تفاسيرهم من القصص الخرافية التافهة ما يدل بوضوح على أنهم لم يعتادوا التدبر في القرآن. فلم يكن لهم انهماك في الحكمة، بل انهماك في الجهل. فمثلاً إذا كتب أحد منهم أن للملاك عشرة أجنحة، فكّر غيره في إمكانية أن توجد رواية تقول أن للملاك خمسة عشر جناحًا. فإذا قال له بعض اليهود نعم هناك رواية بهذا المعنى، قال هذا في تفسيره ليس للملاك عشرة أجنحة، وإنما خمسة عشر جناحًا. ثم يطلع يهودي آخر بقوله إن للملاك مئة جناح، فيقول المفسر أن الملائكة لها مئة جناح (ابن كثير). ولكن المفسرين لا يكتفون بذلك أيضًا، بل يتنافسون بعد ذلك في البحث عن رواية تذكر أن للملائكة ألف جناح. فيلفق أحد اليهود رواية بهذا المعنى، فيفرح المفسر بأنه قد وجد أخيرًا رواية تقول أن للملائكة ألف جناح. ويشيد الناس بعلمه في غبطة وسرور قائلين: سبحان الله، إن شيخنا هذا علامة كبير إذ عثر على رواية تقول أن للملائكة ألف جناح. وهكذا فهم يبحثون عن ما هو لغو وخرافة تاركين الحقيقة، مع أن اللغو لا علاقة له بالدين، ولا بالإيمان، ولا بالله تعالى، إنما هو جهل وغباء.

ولو تدبر اليهود التوراةَ، وتدبر النصارى الإنجيلَ، لما ارتكبوا هذه الحماقة فإنهم، رغم كون كتبهم محرفة، كذلك لو تدبر المسلمون القرآن لما وقعوا في هذه الجهالة. ولكنهم تركوا التدبر في القرآن الكريم، كما ترك اليهود والنصارى التدبر في التوراة والإنجيل، فلم يتسبب كتاب الله تعالى في هدايتهم، بل وقعوا في الضلال.

لقد ذكر صاحب المفردات للغي تفسيراً لطيفًا فقال: «الغيُّ جهلٌ مِن اعتقاد فاسد.» أي أن الغي هو تلك الجهالة التي تنشأ حين يعزو الإنسان إلى كتاب الله تعالى ودينه عقائد خاطئة وروايات باطلة. ولو أن الناس أقاموا الصلاة، واهتموا بالدعاء والبكاء والإنابة إلى الله تعالى، ورجعوا لهدايتهم إلى وحي الله وكتابه بدلاً من أن يتبعوا اجتهاداتهم الخاطئة، لما لقوا هذا المصير. ولكنهم تركوا الأمرين كليهما فكان من المحتم أن يكون مآلهم الضلال والفشل والجهل والهلاك، كما حصل فعلاً.

الحق أن الكسل عن الصلاة يحرم الإنسان وصالَ الله تعالى ومعرفة صفاته، فيكون مآله الغي والضلال. إن قلة الدعاء تؤدي إلى الفشل. وأما اتباع الشهوات فيقلل رغبة المرء في العلم والبرهان ويزيده جهلاً وغباءً، واجتماع هذه الأشياء كلها يؤدي إلى الدمار.

ثم يقول الله تعالى ﴿إلا مَن تاب وآمنَ وعمِل صالحًا فأولئك يدخُلون الجنة ولا يُظلَمون شيئًا﴾. واعلم أن العمل الصالح لا يعني العمل الحسن، إنما يعني العمل الذي يتفق مع مقتضى الحال. فمثلا لو أن المرء بدأ يصلي وقت الجهاد فلا شك أنه يقوم بعمل حسن، ولكنه ليس بعمل صالح. ولو أن أحدًا بدأ يلقي الوعظ وقت الصلاة، فإنه عمل حسن، ولكنه ليس بعمل صالح. ولو أمسك المرء عن الطعام يوم العيد – أنا لا أقول إنه يصوم لأن الشيطان هو الذي يصوم يوم العيد – أو لم يهتم بالغسل والنظافة، فيمكننا أن نسميه زاهدًا في الدنيا، إلا أن عمله لن يُعَدّ عملاً صالحًا. ولذلك نجد أن القرآن الكريم لا يحث على العمل الحسن وإنما على العمل الصالح. فهو يأمرك بالصدقة وقت الصدقة، والصلاةِ وقت الصلاة، والجهادِ وقت الجهاد، وذكرِ الله وقت الذكر، وحفظِ السرّ وقت السِّرّيةِ. والذين يعملون بحسب مقتضى الحال يعدهم الله تعالى ويقول ﴿فأولئك يدخلون الجنةَ ولا يُظلَمون شيئًا﴾.

وما هي تلك الجنة؟ قال الله تعالى في وصفها ﴿جنّاتِ عدنٍ﴾. وبطبيعة الحال ليس المراد من ﴿عدنٍ﴾ هنا أرض عدن الواقعة في جنوب غرب الجزيرة العربية، بل المعنى أن تلك الجنات جنات خلود ودوام. ذلك أن لفظ العدن يعني الدوام والخلود، حيث ورد في القاموس: عدَن بالمكان: أقام به؛ وأقام البلدَ: توطَّنَه، وقيل منه ﴿جنّاتِ عدنٍ﴾ أي جناتُ إقامة لمكان الخلود (الأقرب).

والمراد من قول الله تعالى ﴿التي وعَد الرحمنُ عبادَه بالغيب﴾ أنه قد وعدهم بهذه الجنات حينَ لم تكن مرئية لهم، أي حين لم تكن هناك أية آثار لحصولهم على هذه الجنات، ومع ذلك قد حصلوا عليها. وهذه الجنات قد نالها المسلمون في هذه الدنيا، كما قد وعدهم الله تعالى بها في الآخرة أيضًا. وحيث إنهم قد نالوها في الدنيا رغم استحالة حصولهم عليها في الظاهر، فهذا برهان على أن ما يدعي به محمد رسول الله ﷺ إنما يدعيه بناء على أمر الله تعالى، وأن الوعد الثاني أيضًا سيتحقق حتمًا كما تحقق الوعد الأول.

كما يمكن أن يراد بقوله تعالى ﴿بالغيب﴾ أن الله الرحمن قد وعدهم بهذه الجنات نتيجة إيمانهم بالغيب. بمعنى أنهم لم يروا الله تعالى، ولكنهم لما سمعوا البراهين على وجوده آمنوا به. إنهم لم يشاهدوا الملائكة، ولكنهم لما سمعوا الأدلة على وجودها صدقوا بها. إنهم لم يجربوا الحياة بعد الموت، ولكنهم عندما سمعوا الدلائل على وجودها آمنوا بها وأيقنوا أن هناك حياة بعد الموت. إنهم لم يروا الجنات، ولكن لما قال الله لهم آمِنوا بالجنة صدّقوا بها. لذلك يقول الله تعالى فبما أنهم قد ضربوا أروع مثال للإيمان بالغيب، فصدقوا بهذه الأشياء الغائبة الخفية عن أنظارهم ابتغاءَ مرضاتنا وتصديقًا لقولنا، فسندخلهم في جنات غيبية أي جنات تفوق تصوراتهم.

ثم يقول الله تعالى ﴿إنه كان وعدُه مأْتيًّا﴾.. والمأتي ما يؤتاه ويُحضَر إليه، المراد أنهم سيُؤتى بهم إلى تلك الجنات وكأنهم سيُعطونها جبراً وقسرًا.. بمعنى أن هؤلاء لا يتمنون أي جنة وإنما يريدون وصال الله تعالى، ولكن بما أن الله تعالى قد وعدهم بالجنات فسيقال لهم لا بد لكم من أن تدخلوها أيضًا. فكأن ما وُعدوا سيؤتى به، فيُدخَلون الجنات.

إن هذا الكلام يدل على كمال الإحسان، حيث يخبر الله تعالى أنه لن يكون بوسعهم أن يرفضوا عرضنا هذا.

(يُتبع)

من نسائم الروضة النبوية الشريفة

فضل أصحاب رسول الله ﷺ جميعا

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ رضي الله عنه، عَنْ أبي مُوسَى الأشعَري، قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قُلْنَا لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ – قَالَ – فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَا هُنَا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ. قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ». قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ.» (مسند أحمد، أول مسند الكوفيين، حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه)

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِحَمْزَةَ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ غَيْرِهِ . (سنن أبي داود، كتاب الجنائز)

عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ . وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ . قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ . أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا . قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ». (صحيح البخاري، كتاب المغازي)

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ». (جامع الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ)

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ». (سنن أبي داود، كتاب السنة)

هكذا تكلم المسيح الموعود

مِن أسرار اسمَي "محمد" و"أحمد"

وما تعلم ما الحمد والتحميد، ولِم أعلى مقامه الربُّ الوحيد. وكفى لك مِن عظمته أن الله ابتدأ به كتابه الكريم، ليبيّن للناس عظَمة الحمد ومقامه العظيم. وإنه لا يفور من قلبٍ إلا بعد المحويّة والذوبان، ولا يتحقق إلا بعد الانسلاخ ودوسِ أهواء النفس الثعبان، ولا يجري على لسان إلا بعد اضطرام نار المحبة في الجنان، بل لا يتحقق إلا بعد زوال أثر الغير من الموهوم والموجود، ولا يتولّد إلا بعد الاحتراق في نار محبّة المعبود. فمن ألقى نفسه في هذه النار، فهو يحمد الله بقلبٍ مُوجَع وسِرّ محوٍ في الحبيب المختار، وهو الذي يُدعى في السماء باسم أحمد ويقرَّب ويُدخَل في بيت العزّة وقُصارة الدار، وهي دار العظمة والجلال.. يُقال استعارةً إن الله بناها لذاته القهار، ثم يعطيه لحمّادِ وجهه فيكون له كالبيت المستعار، فيُحمَد هذا الرجل في السماء والأرض بأمر الله الغفّار، ويُدعى باسم محمّد في الأفلاك والبلاد والديار، ومعناه أنه حُمّد حمدًا كثيرا واتفق عليه الأخيار من غير الإنكار.

وإن هذين الاسمين قد وُضعا لنبيّنا مِن يوم بناء هذه الدار، ثم يُعطَيان للذي صار له كالأظلال والآثار. ومن أُعطي من هذين الاسمين بقبس فقد أُنير قلبه بأنواع الأنوار. وقد جرى على شفتَي الرسول المختار، أن الله يرزق منهما عبدًا له في آخر الزمان كما جاء في الأخبار، فاقرؤوا ثم فكّروا يا أولي الأبصار.

فالغرض أن الأحمدية والمحمدية أمرٌ جامع دُعِيَ الموحّدون إليه، ولا يتمّ توحيد نفس إلا بعد أن يرى في وجوده تحقُّقَ جَنْبَيه، ولا تصير نفس مطمئنةً، ولا تتنزل على قلب سكينة، إلا أن يكون سابحا في هذه اللُّجّة، ولا ينجو أحدٌ من مكائد الأمّارة إلا أن يحصل له حظٌّ من هذه المرتبة. والذين بعدوا منها وما أخذوا منها حصّةً ترهَقهم ذلّةٌ في هذه ويوم القيامة. هم الذين يمشون على الأرض كغُثاءٍ على السيل، كأنّما أُغشيتْ وجوههم قِطعًا من الليل. يتولدون محجوبين، ويعيشون محجوبين، ويموتون محجوبين. (نجم الهدى ٦-٧)

جَوَانِبُ مِنْ تَشْرِيعَاتِ الإِسْلام
عَلَى هَامِشِ سِيرَةِ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِب رضي الله عنه

خطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٣٠م
في مسجد مبارك، إسلام آباد ببريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كنتُ قلتُ في نهاية ذكر سيدنا أبي بكر رضي الله عنه أن ذكر صحابة بدر انتهى الآن، ولكن بعض الصحابة الذين قد تناولت ذكرهم سابقا وصلتني بعض الأشياء أو بعض التفاصيل عنهم التي سأذكرها في وقت من الأوقات أو سيتم إضافتها عند النشر والطباعة. يكتب إلي بعض الناس أنهم استفادوا كثيرا بالاستماع لهذا التاريخ، وأبدوا رغبتهم في أن تُذكر هذه الأشياء في الخطب أيضا، لذا رأيتُ من المناسب أن أبينها في الخطب لكي يعلم عنها الناس ويستمع إليها أكبر عدد منهم.

باختصار، أول ذكر بهذا الصدد لحضرة حمزة رضي الله عنه، كان عم النبي ﷺ. وكان النبي ﷺ يحبه للغاية كما يتبين من قوله ﷺ في مناسبات عدة، وكذلك من ردة فعله ﷺ حين بلغه خبر استشهاد حمزة رضي الله عنه. ويمكن أن تتكرر بعض الأشياء إجمالا في هذا الذكر.

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

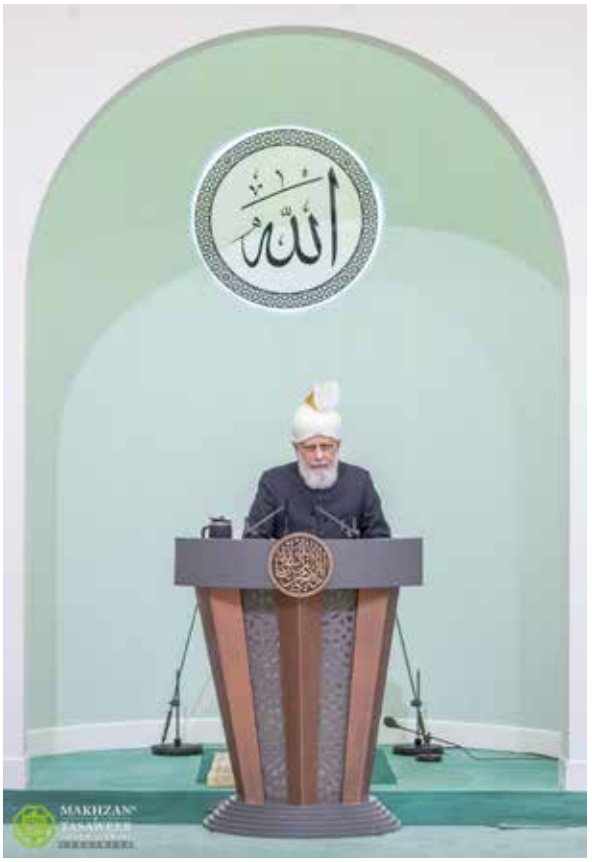

عن حمزة بن عبد المطلب ﷺ وذريته

من الروايات الواردة في حب النبي ﷺ لحمزة، ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: وُلد لرجل منا غلام فقالوا: ما نسميه؟ فقال النبي ﷺ: «سموه بأحب الأسماء إلي حمزة بن عبد المطلب.» [1]

ورد عن أزواج حمزة وأولاده في الطبقات الكبرى أن إحدى أزواجه هي ابنة الملة بن مالك من الأوس التي أنجبت له يعلى وعامر وكان حمزة يكنى بأبي يعلى باسم ابنه يعلى. وزوجة حمزة الثانية هي خولة بنت قيس الأنصارية التي أنجبت له عمارة وقد كان يكنى به أيضا. وتزوج من سلمى بنت عميس أخت أسماء بنت عميس ووُلدت منها أمامة بنت حمزة، وهي أمامة نفسها التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة، وأراد كل واحد منهم أن تكون عنده، فقضى بها رسول الله ﷺ لجعفر من أجل أن خالتها أسماء بنت عميس كانت عنده. وقد كان ليعلى بن حمزة أولاد، عمارة والفضل والزبير وعقيل ومحمد، درجوا فلم يبق لحمزة بن عبد المطلب ولد ولا عقب.

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ أُمَامَةَ بِنْت حمزة؟!

قد ذكرتُ آنفا الاختصام الذي حدث بين علي وجعفر وزيد بن حارثة في أمامة بنت حمزة، ورد تفصيله في صحيح البخاري كالتالي: عَنْ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: لَمَّا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَتَبُوا الْكِتَابَ كَتَبُوا هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ. قَالُوا: لَا نُقِرُّ لَكَ بِهَذَا لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا مَنَعْنَاكَ شَيْئًا وَلَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ. فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ اللهِ وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: امْحُ رَسُولَ اللهِ. قَالَ عَلِيٌّ: لَا وَاللهِ لَا أَمْحُوكَ أَبَدًا. فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْكِتَابَ وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ، فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: لَا يُدْخِلُ مَكَّةَ السِّلَاحَ إِلَّا السَّيْفَ فِي الْقِرَابِ وَأَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتْبَعَهُ وَأَنْ لَا يَمْنَعَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا. فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الْأَجَلُ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلُ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ: فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ تُنَادِي: يَا عَمِّ يَا عَمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ حَمَلْتِهَا فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي. وَقَالَ جَعْفَرٌ ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا

تَحْتِي وَقَالَ زَيْدٌ ابْنَةُ أَخِي فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا، وَقَالَ: الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ، وَقَالَ لِعَلِيّ: أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ. وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي وَقَالَ لِزَيْدٍ أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا وَقَالَ عَلِيٌّ: أَلَا تَتَزَوَّجُ بِنْتَ حَمْزَةَ قَالَ إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ[٢].

تنحل هذه القضايا الصغيرة أيضا بذكر هذه الأحداث، في بعض الأحيان تُرفَع القضايا في دار القضاء عن البنات، لماذا تذهب البنت إلى خالة أو جدتها من الأم، فتنحل بذكر مثل هذه الوقائع.

إسلام حمزة ﷺ

ورد في الروض الأُنُف عن إسلام حمزة ﷺ: وَزَادَ غَيْرُ ابْنِ إسْحَاقَ فِي إسْلَامِ حَمْزَةَ أَنَّهُ قَالَ لَمّا احْتَمَلَنِي الْغَضَبُ (وقد ذكرتُ هذا الحادث كله حين غضب حمزة لما سمع من مولاته وقال لأبي جهل: أَنَا عَلَى دِينِ محمد ﷺ) وَقُلْت: أَنَا عَلَى آبَائِي وَقَوْمِي، وَبِتّ مِنْ الشّكّ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ لَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمّ أَتَيْت الْكَعْبَةَ، وَتَضَرّعْت إلَى اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَشْرَحَ صَدْرِي لِلْحَقّ وَيُذْهِبَ عَنّي الرّيْبَ فَمَا اسْتَتْمَمْتُ دُعَائِي حَتّى زَاحَ عَنّي الْبَاطِلُ وَامْتَلَأَ قَلْبِي يَقِينًا. فَغَدَوْت إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْته بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِي، فَدَعَا لِي بِأَنْ يُثَبّتَنِي اللهُ[٣].

عن عمار بن أبي عمار أن حمزة بن عبد المطلب قال: يا رسول الله أرني جبريل على صورته. قال: إنك لا تستطيع أن تراه. قال: بلى، فَأَرِنيه. قال: فاقعد. فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة يلقي المشركون عليها ثيابهم إذا طافوا. فقال النبي ﷺ: ارفع طرفك فانظر. فرفع طرفه فرأى قدميه مثل الزبرجد الأخضر فخر مغشيا عليه [٤]. والزبرجد حجر كريم يشبه الزمرد.

أول غزوة للنبي ﷺ وصدور الإذن بالقتال

خرج رسول الله ﷺ من المدينة مع جماعة من المهاجرين إلى الأبواء في صفر العام الثاني للهجرة، واشترك في هذه الغزوة حمزة ﷺ، وكان لواء النبي ﷺ مع حمزة ﷺ، وكان أبيض، واستعمل على المدينة أبا سعد وفي رواية سعد بن عبادة ، لم يقع القتال، حيث وادعته فيها بنو ضمرة وهي أول غزوة غزاها النبي ﷺ ويقال لها غزوة ودان أيضا.

كتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ في سيرة خاتم النبيين ﷺ: الإذن بالجهاد بالسيف قد نزل في شهر صفر من العام الثاني للهجرة. لما كانت هناك حاجة ماسة لاتخاذ إجراءات فورية للحفاظ على المسلمين من مخططات قريش الدموية ومكايدهم الخطيرة، لأجل ذلك خرج النبي ﷺ من المدينة في هذا الشهر نفسه مع جماعة من المهاجرين. وقبل خروجه جعل سعد بن عبادة رئيس الخزرج أميراً على المدينة. سلك النبي ﷺ طريق مكة التي كانت في جنوب غرب المدينة حتى وصل موضعًا يسمى «ودان»، كان بنو ضمرة يسكنون هذه المنطقة، وهم فرع من بني كنانة وهكذا كانوا أبناء عمومة قريش. تكلم النبي ﷺ مع رئيس بني ضمرة في هذا المقام وعقدا فيما بينهما معاهدة اتفقا عليها بشروط تالية: أن بني ضمرة يرتبطون بعلاقات الصداقة مع المسلمين، وأنهم لن يعينوا عدوًّا على المسلمين، وإذا دعاهم النبي ﷺ لنصر المسلمين أجابوه.وفي المقابل تعهد النبي ﷺ من طرف المسلمين أن يرتبطوا بعلاقات الصداقة مع بني ضمرة وينصروهم عند الحاجة. لقد حُرّرت هذه المعاهدة ووقع الفريقان عليها، ثم انصرف النبي ﷺ إلى المدينة بعد غيبته عنها خمس عشرة ليلة. تسمى غزوة ودان بغزوة الأبواء أيضا لأن منطقة ودان قريبة منموضع الأبواء حيث توفيت والدة النبي ﷺ. يقول المؤرخون أن النبي ﷺ كان يقصد إضافةً

فركب عمير خيله وطاف حول المسلمين فرأى في هيئة المسلمين جلالا وعزما وعدم المبالاة بالموت بحيث عاد مرعوبا للغاية، وقال لقريش: لم أر أي قوة دعم وراءهم ولكن «رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع» حين سمعت قريش ذلك نشأ فيهم اضطراب. وكان سراقة بن مالك، الذي جاء كضامن لهم، ارتعب لدرجة أنه هرب من حيث أتى، وعندما أراد الناس كبحه، قال: إني أرى ما لا ترون.

إلى بني ضمرة قريشا أيضا. ويتضح من هنا أن مهمته هذه كانت هادفة إلى إفشال خطط قريش الخطيرة والحيلولة دونها، وكان قصده من خلال هذه الغزوة إزالة ذلك التأثير السام والخطير الذي كانت قوافل قريش تلقيه في قلوب قبائل العرب ضد المسلمين، وحيث كانوا يقومون في القبائل بدعاية خطيرة ضد المسلمين ميجعلهم عُرضة لأوضاع خطيرة. باختصار، كان حمزة يحمل لواء النبي ﷺ في هذه الغزوة.

في جمادى الأولى من العام الثاني للهجرة بلغ النبيَّ ﷺ خبرٌ عن قريش مكة، فخرج من المدينة مع جماعة من المهاجرين يبلغ عددهم مائة وخمسين أو مائتين، وجعل أخاه من الرضاعة أبا سلمة بن عبد الأسد أميراً في غيابه. وفي هذه الغزوة أيضا حمل حمزةُ بن عبد المطلب لواء رسول الله ﷺ الأبيضَ. في هذه الغزوة وصل النبي ﷺ بعد أن دار يمينا وشمالا إلى مكان قريب من ساحل البحر يدعى العشيرة. ومع أنه لم يقع فيها قتال مع قريش إلا أنه أبرم مع قبيلة بني مُدلج معاهدة على الشروط نفسها التي عقد بها معاهدة مع بني ضمرة، ثم رجع.

وقد ذكرتُ من قبل أحاديث مختلفة عن المبارزة في الحرب أي القتال الفردي في غزوة بدر. لقد كتب مرزا بشير أحمد ﷺ تفصيله كالتالي:راءى الجيشان ، فظهرت قدرة الله بشكل عجيب، إذ كان ترتيب الجيوش في ذلك الوقت بحيث بدا لقريش عدد المسلمين أكثر من العدد الفعلي بل ضعفه، مماقذف الرعب في قلوب قريش، في حين بدا للمسلمين عدد قريش أقل من العدد الفعلي، مما شجَّع المسلمين، كان أهل قريش يريدون معرفة العدد الفعلي لجيش المسلمين لكي تتقوى قلوبهم، ولذلك بعث رؤساء قريش عمير بن وهب ليطوف بفرسانه حول جيش المسلمين ويقدر عددهم، ويتحرى عما إذا كانت قوة دعم تختبئ وراءهم، فركب عمير خيله وطاف حول المسلمين فرأى في هيئة المسلمين جلالا وعزما وعدم المبالاة بالموت بحيث عاد مرعوبا للغاية، وقال لقريش: لم أر أي قوة دعم وراءهم ولكن «رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع» حين سمعت قريش ذلك نشأ فيهم اضطراب. وكان سراقة بن مالك، الذي جاء كضامن لهم، ارتعب لدرجة أنه هرب من حيث أتى، وعندما أراد الناس كبحه، قال: إني أرى ما لا ترون. وعندما سمع حكيم بن حزام رأي

عمير ذهب إلى عتبة بن ربيعة خائفا وقال له يا عتبة، إنما تريد أن تأخذ من محمد ثأر عمرو بن الحضرمي حليفك، ألا يمكن أن تؤدي ديته وترجع بقريش، وبذلك تُذْكَرُ بِخَيْرٍ إِلَى آخِرِ الدّهْرِ، فقال عتبة فورا وهو نفسه كان خائفا: نعم، أنا موافق، إن هؤلاء المسلمين في النهاية أقرباؤنا فليس من الجيد أن يرفع الأخ سيفه على أخيه والأب على ابنه. فاذهب إلى أبي الحكم (أبي جهل) وبلغه بهذا الرأي. وأما عتبة نفسه فقد امتطى ناقته وأخذ يُشيع بين الناس أن مقاتلة الأقارب ليست بالأمر الصائب فيجب أن يعودوا ويتركوا مواجهة محمد (ﷺ) للقبائل الأخرى ويروا النتيجة، ثم إن قتال هؤلاء المسلمين ليس سهلا هينا، ومهما وصفتَني بأني جبان، ولست بجبان، لكنني أرى هؤلاء يريدون شراء الموت. حين رأى النبي ﷺ عتبةَ من بعيد قال إذا كان أحد من جيش الكفار يتحلى بنبل فهو راكب هذا الجمل الأحمر، إذا قبلوا ما يقول كان خيرا لهم. لكن حكيم بن حزام حين جاء إلى أبي جهل وقدم إليه هذا الاقتراح –ومتى كان فرعون الأمة هذا يقبل هذه الأمور– قال: إذن، يرى عتبة مقابله أقاربه، ثم دعا أخا عمرو الحضرمي عامرَ الحضرمي وقال له انظر ما يقول حليفك عتبة، وقد رأيتَ ثأرك بعينك. فاستشاط عامر غضبا ومزق ثيابهوراح يرفع عقيرته بالصراخ بحسب العادة القديمة في العرب، واعمراه واعمراه. وهذا النداء في الصحراء أضرم لهيب الثأرفي صدور قريش وبدأ وطيس الحرب يحمى بشدة. باختصار إن لوم أبي جهلأضرم النار في قلب عتبة، ثم خرج عتبة مع أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة بحسب العادة السائدة. فخرج إليهم الأنصار لكن النبي ﷺ نهاهم وقال: قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة. وكان هؤلاء الثلاثة من أقارب النبي ﷺ الأعزة، وكان ﷺ يريد أن يتقدم إلى الخطر بأقاربه أولا. وفي الطرف الآخر حين رأى عتبةُ وغيره الأنصار قالوا لا نقيم لهؤلاء وزنا، فليخرج إلينا نظراؤنا. فتقدم إليه حمزة وعلي وعبيدة، وتعرفوا على بعضهم البعض أولا بحسب العادة السائدة، ثم بارز عبيدةُ بن الحارث بن عبد المطلب الوليدَ وبارز حمزةُ عتبةَ وبارز علي شيبةَ، فأما حمزة وعلي فلم يمهلا خصمَيهما أن قتلاهما، واختلف عبيدة والوليد بن عتبة بينهما ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعلي على الوليد بن عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة إلى الخيمة لكنه لم يقاوم الجروحَ واستشهد في طريق العودة من بدر. وكان حمزة قد قَتل أحد زعماء قريش طعيمة بن عدي أيضا.

نموذج طاعة الصحابة حال تحريم الخمر

هناك رواية أن سيدنا حمزة قد قتل ناقتَي سيدنا علي في حالة السكر، وكان ذلك قبل تحريم الخمر. وتفصيل ذلك في صحيح البخاري عَنْ عَلِيّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ عَنْ أَبِيهِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ قَالَ أَصَبْتُ شَارِفًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَغْنَمٍ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ وَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَارِفًا أُخْرَى فَأَنَخْتُهُمَا يَوْمًا عِنْدَ بَابِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ عَلَيْهِمَا إِذْخِرًا لِأَبِيعَهُ وَمَعِي صَائِغٌ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَأَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى وَلِيمَةِ فَاطِمَةَ، وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَشْرَبُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ مَعَهُ قَيْنَةٌ فَقَالَتْ أَلَا يَا حَمْزُ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ. فَثَارَ إِلَيْهِمَا حَمْزَةُ بِالسَّيْفِ فَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا ثُمَّ أَخَذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا. قال ابن جريج قُلْتُ لِابْنِ شِهَابٍ وَمِنْ السَّنَامِ قَالَ قَدْ جَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا فَذَهَبَ بِهَا قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَنَظَرْتُ إِلَى مَنْظَرٍ أَفْظَعَنِي فَأَتَيْتُ نَبِيَّ

حين جاء رسول الله ﷺ مهاجرا من مكة إلى المدينة كانت في المدينة ثلاث قبائل لليهود، وهي بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، فوقَّع النبي ﷺ فور وصوله إلى المدينة عقود الصلح والسلام معهم ووضع الأساس للسكن المشترك بأمن وسلام. كان من واجب الفريقين بمقتضى العقد أن يحافظوا على أمن المدينة، وإذا هاجم المدينة عدوٌّ من الخارج فليقاوموه متحدين. في الأوائل تقيَّد اليهود مع هذا العقد وعلى الأقل لم يبدأوا الخصام مع المسلمين في ظاهر الأمر، لكنهم حين رأوا أن المسلمين يحرزون الاقتدار والسلطة تغيرتْ تصرفاتهم وعقدوا العزم على منع قوة المسلمين المتزايدة، ومن أجل ذلك اتخذوا كل نوع من التدابير الشرعية وغير الشرعية، حتى لم يتورعوا عن بذل الجهود لخلق الشقاق والفرقة والحرب الداخلية في المسلمين.

اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ فَخَرَجَ وَمَعَهُ زَيْدٌ ﷺ فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَدَخَلَ عَلَى حَمْزَةَ فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ فَرَفَعَ حَمْزَةُ بَصَرَهُ وَقَالَ (وكان سكران فقال للنبي ﷺ أيضا) هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِآبَائِي فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقَهْقِرُ حَتَّى خَرَجَ عَنْهُمْ وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ.(٤)

فقد قال ﷺ في نفسه أن في هذه الحالة من الأفضل ألا يكلمه، أما لاحقا حين حُرمت الخمر فلم يقتربوا منها قط، فكان معيار استجابة الصحابة ﷺ لأوامر الله ﷻ حيث كسروا جرار الخمر فور سماع تحريمها، ولم يقولوا: سنتخلى عنها لاحقا تدريجا، كما يقول الناس في العصر الراهن، حيث يتعودون على تناول المسكرات وهو ممنوع في الإسلام، ثم يقولون أمهلونا سنتركها رويدا رويدا. على كل حال قد ظهر هذا الحدث في ذلك الوقت وبعد ذلك ارتفعت معايير تضحياته بانتظام، ومن المؤكد أن سيدنا حمزة وجد في نفسه ندما على قوله هذا.

عقوبة قبائل اليهود

كان سيدنا حمزة متقدما في مهمة بني قينقاع أيضا التي حصلت بعد غزوة بدر، وفي هذه الغزوة أيضا كان سيدنا حمزة حامل لواء النبي ﷺ وكان لونه أبيض. وكتب سيدنا مرزا بشير أحمد ﷺ تفصيل ذلك كالتالي:

حين جاء رسول الله ﷺ مهاجرا من مكة إلى المدينة كانت في المدينة ثلاث قبائل لليهود، وهي بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، فوقَّع النبي ﷺ فور وصوله إلى المدينة عقود الصلح والسلام معهم ووضع الأساس للسكن المشترك بأمن وسلام. كان من واجب الفريقين بمقتضى العقد أن يحافظوا على أمن المدينة، وإذا هاجم المدينة عدوٌّ من الخارج فليقاوموه متحدين. في الأوائل تقيَّد اليهود مع هذا العقد وعلى الأقل لم يبدأوا الخصام مع المسلمين في ظاهر الأمر، لكنهم حين رأوا أن المسلمين يحرزون الاقتدار والسلطة تغيرتْ تصرفاتهم وعقدوا العزم على منع قوة المسلمين المتزايدة، ومن أجل ذلك اتخذوا كل نوع من التدابير الشرعية وغير الشرعية، حتى لم يتورعوا عن بذل الجهود لخلق الشقاق والفرقة والحرب الداخلية في المسلمين.

فقد ورد في رواية أن كثيرا من أفراد الأوس والخزرج كانوا جالسين في مكان يتكلمون فيما بينهم بحب ووفاق فوصل إليهم بعض اليهود المثيرين للفتن، ليذكروا الحديث عن يوم بعاث،وكان يوما عصيبا إذ نشبت فيه معركة بين هاتين

القبيلتين قبل الهجرة بسنين، وكان قد قُتل فيها الكثيرون من كلتا القبيلتين. فبذكرهذا اليوم ثارت ثائرة ذوي الطباع الحادة وتذكروا ذكريات من الماضي ومثلت أمامهم مشاهد العداوة السابقة، مما أدى إلى تبادل الطعن والشجار وسل بعضهم السيوف ضد البعض. وصل الخبر إلى النبي ﷺ فجاء إلى هناك بجماعة من المهاجرين، وهدَّأ الفريقين ثم لامهم على العودة إلى طريق الجاهلية رغم وجوده ﷺ فيهم وعدم شكرهم لنعمة الله، على أنه جعلهم إخوانا ببركة الإسلام، فتأثر الأنصار بهذه النصيحة كثيرا حيث دمعت عيونهم وتابوا عن تصرفهم هذا وتعانقوا.

فلما انتهت معركة بدر ومكَّن الله ﷻ المسلمين رغم قلة عددهم وعتادهم من الانتصار الواضح على الجيش الكبير، حيث هلك كبار زعماء مكة، اشتعلت نار حسد يهود المدينة الخفية، فبدأوا يتحرشون بالمسلمين علنا، ويقولون في المجالس علنا إن هزيمة جيش قريش لم تكن مهمة عظيمة، إذا تعرض لنا محمد ﷺ وحاربَنا فسوف نخبره كيف تكون الحرب. حتى قالوا هذا الكلام في وجه النبي ﷺ في مجلس.

ففي رواية أن رسول الله ﷺ حين عاد من بدر إلى المدينة، جمع اليهودَ ذات يوم ونصحهم وعرض عليهم دعواه ودعاهم إلى الإسلام، فردَّ زعماء اليهود على هذه الدعوة المسالمة والمواسية بقولهم: يا محمد ﷺ ربما اغتررت بقتل عدد من قريش، فهم كانوا يجهلون أساليب الحرب، وإذا خضت في الحرب معنا فسوف نخبرك كيف يكون المقاتلون. ثم لم يكتف اليهود بهذا التهديد باللسان فقط بل يبدو أنهم عمليا بدأوا يخططون لاغتيال النبي ﷺ أيضا، فقد ورد في رواية أن صحابيا مخلصا جدا اسمه طلحة بن براء حين أشرف على الموت أوصى بأنه إذا مات ليلا فلا تخبروا النبي ﷺ للجنازة، لأني أخشى أن يصيبه مكروه من اليهود بسببي. باختصار بدأ اليهود الفتن بعد معركة بدر علنًا، فلما كان بنو قينقاع هم أقوى وأشجع يهود المدينة، فقد صدر منهم نقض العهد أولا، فقد كتب المؤرخون أن أول من نقض العهد بين يهود المدينة ورسول الله ﷺ هم بنو قينقاع، وقد أبدوا التمرد السافر والبغض والحسد ونقضوا كل المواثيق، لكن المسلمين رغم ذلك كله، تمسكوا بالصبر بكل طريقة ممكنة عملا بتوجيه سيدهم ﷺ وامتنعوا عن كل تحرك نحوهم، وليس ذلك فحسب بل قد ورد في الحديث أن النبي ﷺ كان يراعي اليهود ويواسيهم بوجه خاص بعد هذا العهد الذي كُتب بينه وبين اليهود. فذات يوم حصل نزاع بين مسلم ويهودي، حيث ذكر اليهودي أفضلية سيدنا موسى عليه السلام على جميع الأنبياء، فغضب المسلم وتشدد مع اليهودي نوعا ما، وقال إن رسول الله ﷺ

هو أفضل الرسل. فلما علم بذلك النبيُّ ﷺ عاتب ذلك الصحابي ولامَه، وقال له: ليس من شأنك أن تبين فضيلة بعض أنبياء الله على البعض. ثم واسى ذلك اليهوديَّ بذكر فضيلة جزئية لسيدنا موسى عليه السلام. لكن اليهود ظلوا يتمادون في شرورهم رغم هذه المعاملة المواسية، وأخيرا نشأ سبب الحرب مع اليهود من قبل اليهود، حيث لم تبق العداوة في قلوبهم بل خرجت للعلن. وتفصيل ذلك أن مسلمة ذهبت إلى محل يهودي لشراء شيء، فتحرش بها بعض اليهود الجالسين في المحل بكل وقاحة، وصاحب المحل أيضا ربط طرف إزارها غفلة منها بثوب ظهرها بشوك أو ما شابهه، وكانت النتيجة أن تلك المسلمة حين أرادت الانصراف من هناك بعد ملاحظة تصرفهم الوقح، فنهضت انكشفت سوأتها، فضحك صاحب المحل وأصحابه من اليهود كثيرا، فصاحت خجلا واستغاثت، وبالمصادفة كان قريبا منها مسلم فوثب إليها وقتل صاحبَ المحل أثناء الدفاع عنها فوقعت السيوف على المسلم من الجهات الأربعة فأردي ذلك المسلم الغيور قتيلا. فلما علم بذلك المسلمون غضبوا جدا وفي الطرف الآخر كان اليهود الذين يريدون أن يجعلوا هذا الحدث سببا للقتال ازدحموا فوقع الشر بينهم وبين المسلمين، فلما اطلع النبي ﷺ على الحدث جمع زعماء بني قينقاع وقال لهم: هذا الطريق ليس جيدا، اتقوا الله وكُفُّوا عن هذه الشرور والفتن. ولكنهم وبدلا من إبداء أسفهم وندمهم وبدلا من أن يطلبوا العفو ردّوا بردود ملؤها التمردُ، وأعادوا التهديد السابق وقالوا: لا تعتزوا على انتصاركم ببدر وستعرفون عند المواجهة من القوي في المحاربة. فذهب النبي ﷺ مع جماعة من الصحابة إلى قلاع بني قينقاع مضطرا. كانت هذه الفرصة الأخيرة لهم ليندموا على أعمالهم ولكنهم أصروا على الحرب.

باختصار، أُعلنت الحرب وتمت المواجهة بين المسلمين واليهود. كان من أساليب الحرب في ذلك الزمن أن المحاربين كانوا يتحصّنون في حصونهم وكان الخصم يحاصر الحصن. ثم كان الفريقان يقومان بشن الهجوم على بعضهما بين حين وآخر. فإما كان الجيش المحاصِر يقتحم، أو يرفع الحصار يائسا من السيطرة على الحصن، و كان يُعَدّ انتصار المحصورين. وبهذه المناسبة أيضا خطا بنو قينقاع الخطوة نفسها وتحصّنوا في حصونهم. فحاصرهم النبي ﷺ إلى ١٥ يوما متتالية، وحين تمزّق كِبر بني قينقاع كليا فتحوا أبواب حصونهم بشرط أن يسيطر المسلمون على أموالهم ولكن لن يكون للمسلمين حق على نفوسهم وأهلهم. قبل النبي ﷺ هذا الشرط. كان المحاصرون يستحقون القتل بحسب شريعة موسى وكان ضروريا أن يُنفَّذ فيهم حكم شريعة موسى بحسب المواثيق المبرَمة. ولكن لما كانت هذه أول جريمة لهؤلاء القوم، ومن ناحية ثانية ما كان للنبي ﷺ –الذي كان رحيما وكريما– أن يميل إلى تلك العقوبة القاسية التي هي العلاج الأخير. ومن ناحية

ثانية إن بقاء تلك القبيلة ناقضة العهد والخائنة في المدينة يمثّل خطرا كبيرا، وخاصة حين كانت جماعة المنافقين من قبيلة الأوس والخزرج موجودة في المدينة سلفا. ففي هذه الحالة كان واجبا أن يأخذ النبي ﷺ القرار الأنسب بأن يخرج بنو قينقاع من المدينة. علما أن هذه العقوبة كانت خفيفة جدا مقابل جريمتهم وبالنظر إلى الظروف السائدة حينذاك. وبالإضافة إلى ذلك كان في هذا القرار جانب من الحماية الذاتية أيضا، وأن الانتقال من مكان إلى آخر لم يكن بأمر ذي بال للبدو من العرب، وخاصة للقبائل التي ليست لها أملاك بصورة الأراضي والحدائق كما كان حال بني قينقاع، وخاصة إذا وجدت القبيلة كلها فرصة الانتقال من مكان إلى آخر في أمن وسلام. فترك بنو قينقاع المدينة بكل هدوء وذهبوا إلى الشام. وقد كلّف النبي ﷺ صاحبه عبادة بن الصامت ﷺ، الذي كان من حلفائهم، بالإشراف على كافة الأمور المتعلقة برحيلهم. فشيّعهم عبادة بن الصامت ﷺ إلى بضعة منازل ثم ودّعهم بسلام وعاد. الغنائم التي وقعت في أيدي المسلمين كانت تتضمن أسلحة الحرب وأدوات الصياغة.

لقد ذُكر عن بني قينقاع في بعض الروايات أنهم عندما فتحوا أبواب قلاعهم وسلّموا أنفسهم للنبي ﷺ، كان ﷺ ينوي أن يقتل المحاربين منهم بسبب خيانتهم العهد وتمردهم ومكايدهم الأخرى، ولكنه ﷺ تراجع عن إرادته هذه بشفاعة من رئيس المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول. ولكن لا دليل على هذا الكلام، والباحثون لا يرون هذه الروايات صحيحة لأنه ما دام قد ورد في روايات أخرى بكل صراحة بأن بني قينقاع فتحوا أبواب القلاع بشرط حمايتهم وحماية أهلهم من القتل، فلم يكن ممكنا بأي حال أن يختار النبي ﷺ طريقا آخر بعد قبول هذا الشرط ويسعى لقتلهم. لذا فما ورد في الروايات المذكورة آنفا خطأ تماما. غير أن تقديم بني قينقاع شرطا لحماية أرواحهم يبيّن بجلاء أنهم كانوا يعرفون بأنفسهم بأن عقوبتهم الحقيقية هي القتل. ولكنهم طلبوا العفو من النبي ﷺ وكانوا يريدون ألا يفتحوا باب الحصن إلا بعد أخذ الوعد من النبي ﷺ بأنهم لن يُقتلوا. صحيح أن النبي ﷺ عفا عنهم لكونه رحيم الطبع، ولكن يبدو أنهم ما كانوا يستحقون أن يبقوا أحياء على صفحة الأرض بسبب سوء أعمالهم وجرائمهم. فقد جاء في رواية أن مرضا تفشى في منفاهم بشدة متناهية في غضون عام واحد بعد وصولهم إلى هناك وأصيبوا به وهلكوا كلهم. لقد وقعت غزوة بني قينقاع في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة. على أي حال، كان حمزة ﷺ يحمل الراية.

إنباء النبي باستشهاد حمزة

لقد سبق الذكر أن حمزة قُتل في غزوة أُحد، وقد أخبر اللهُ تعالى النبي ﷺ بشهادته في الرؤيا قبل الأوان. فقد ورد عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا وَكَأَنَّ ظُبَةَ سَيْفِي انْكَسَرَتْ فَأَوَّلْتُ أَنِّي أَقْتُلُ صَاحِبَ الْكَتِيبَةِ وَأَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُقْتَلُ. ثم قُتل حمزة ﷺ، وقتل رسولُ الله طلحةَ الذي كان يحمل راية المشركين.

لقد مُثّل بحمزة وبُقر بطنه. وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَى حَمْزَةَ قَدْ مُثِّلَ بِهِ قَالَ لَئِنْ ظَفِرْتُ بِقُرَيْشٍ لأُمَثِّلَنَّ بِثَلاَثِينَ مِنْهُمْ. وفي رواية، قال ﷺ: والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك. فنزل القرآن وهو واقف في مكانه لم يبرح: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ فقال النبى ﷺ: نصبر يا ربّ. وكفّر عن يمينه.

لقد أبدى رسول الله ﷺ عواطفه عند شهادة حمزة ولكنه صبر ونصح أخت حمزة أي عمته ﷺ أيضا بالصبر، كما سبق الذكر من قبل. وقد ذُكر حادث منع النائحات من النصارى. سأذكر الآن ما قاله سيدنا الخليفة الرابع رحمه الله عن هذا الحادث في أحد خطاباته في الجلسة السنوية قبل توليه منصب الخلافة. وهذا الحادث يُبيّن خُلق النبي ﷺ العظيم أيضا. لذا أرى من المناسب أن أذكر ذلك وإن كان قد ذُكر الحادث نفسه من خلال الأحاديث باختصار.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سرير.

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ يوم أحد مرّ بحمزة رضي الله عنه، وقد جُدع ومثّل به، فقال: «لولا أن تجزع صفية، لتركته حتى يحشره الله عز وجل من بطون الطير والسباع، فكفنه في نمرة.»

لقد أبدى رسول الله ﷺ عواطفه عند شهادة حمزة ولكنه صبر ونصح أخت حمزة أي عمته ﷺ أيضا بالصبر، كما سبق الذكر من قبل. وقد ذُكر حادث منع النائحات من النصارى. سأذكر الآن ما قاله سيدنا الخليفة الرابع رحمه الله عن هذا الحادث في أحد خطاباته في الجلسة السنوية قبل توليه منصب الخلافة. وهذا الحادث يُبيّن خُلق النبي ﷺ العظيم أيضا. لذا أرى من المناسب أن أذكر ذلك وإن كان قد ذُكر الحادث نفسه من خلال الأحاديث باختصار.

يقول الخليفة الرابع رحمه الله: يتبين مدى حب النبي ﷺ لحمزة مما قاله مساء أُحد عند وقوفه على جثته رضي الله عنه. فقال ﷺ ما معناه: الغضب الذي أكنّه والإيذاء الذي أصابني اليوم بمقتلك لن يرينيه الله تعالى مرة أخرى. عندها جاءت صفية أخت حمزة وعمة النبي ﷺ أيضا بسماع خبر مقتله. فلم يأذن لها النبي ﷺ بداية أن ترى جثة أخيها خشية ألا تتخلى عن الصبر ولكن أذن لها لاحقا حين وعدت بالتحلي بالصبر. باختصار، حضرت صفية ورأت أمامها جثة أخيها، أسد الله وأسد رسوله وكان الظالمون قد بقروا صدره وأخرجوا كبده، ومثّلوه أشنع تمثيل. مع أن قلب صفية كان هابطا بشدة الحزن ولكنها التزمت بوعدها بالصبر ولم تترك أهداب الصبر، وإن كانت غير قادرة على إمساك الدموع. فقرأت «إنا لله وإنا إليه راجعون» وجلست بقرب الجثة، وكانت عيناها تنهمران دموعا حزنا. يقول الراوي أن النبي ﷺ أيضا جلس هناك وسالت من عينه الدموع عفويا. كلما خفت دموع صفية خفّت دموع النبي ﷺ، وكلما اشتدت دموع صفية اشتدت دموعه ﷺ أيضا، وبقي الحال على هذا المنوال لبضع دقائق. فلم تكن نياحة النبي ﷺ وأهل البيت سوى بضعة هذه الدموع الصامتة، كما هي سنّة النبي ﷺ.

دخل النبي ﷺ المدينة وكانت قد سادها المأتم، وتصدر من كل بيت أصوات النياحة على شهداء أُحد. فلما

سمع النبي ﷺ تلك الأصوات قال بكل ألم: «لَكِنْ حَمْزَةُ لَا بَوَاكِيَ لَهُ». ومن كان يمكن أن يبكي لحمزة أصلا لأن أهل البيت كانوا يُنصَحون ليل نهار بالصبر والجلَد. فلما سمع بعض من الأنصار هذه الجملة الأليمة من لسان النبي ﷺ اضطربوا بشدة وأسرعوا إلى بيوتهم وأمروا نساءهم أن يتركن مأتما آخر ويبكين لحمزة. ففي لمح البصر صعدت الأصوات من كل حدب وصوب وأصبح كل بيت في المدينة مأتما لحمزة. واجتمعت بعض النساء باكيات نائحات عند بيت النبي ﷺ أيضا. خرج النبي ﷺ من بيته بسماع تلك الأصوات ورأى ازدحاما من نساء الأنصار. فدعا لهن لمواساتهن وشكرهن، ثم قال ما معناه: لا تجوز النياحة على الرجال. فتُرك تقليد النياحة منذ ذلك اليوم. فدت أرواحنا ونفوسنا النبي ﷺ، ما أعظمه من معلّم الأخلاق الذي نزل من سماء الروحانية ليعلّمنا ديننا. ما أكثره بصيرة وذكاء إذ كان نظره يصل إلى أعماق فطرة البشر. فلو منع النبي ﷺ نساء الأنصار من البكاء على قتلاهن لكان بالإمكان أن يشق ذلك على بعضهن ولعل الصبر في تلك الساعة كان ابتلاء لهن. ولكن انظروا كيف صرف مأتمهن إلى عمه حمزة رضي الله عنه أولا. ثم عندما منعهن من البكاء فقد منعهم من البكاء لعمه حمزة. ما أعظم انتخاب الله تعالى إذ انتخب وأرسل لإصلاح خَلقه ناصحا عظيما كان مطلعا جيدا على أدق وألطف مشاعر الفطرة البشرية وكان مهتما جدا لمشاعر خدامه الدقيقة. عندما يفكر المرء في أخلاق النبي ﷺ العظيمة يفدي بنفسه وروحه له تلقائيا ويصعد من قلبه تلقائيا صوت يقول: فدتك أرواحنا ونفوسنا وأموالنا وأولادنا يا رسول الله، وعليك ألف ألف الصلاة والسلام، إن بحر حسنك وإحسانك لا يعرف الحدود والشواطئ. عليك ألف ألف الصلاة والسلام يا رسول الله. نقسم بالله الإله الواحد الذي لا شريك له في السماوات والأرض بأنك الوحيد والفريد في الخلق في السماوات والأرض لم يكن أحد مثلك ولن يكون.

إذن، قد ذُكرت أسوة النبي ﷺ العظيمة أيضا ضمن ذكر حمزة رضي الله عنه.

والآن سأذكر بعض الأمور الأخرى. معلوم أن العام الجديد سيبدأ بعد يومين، فادعو الله تعالى أن يُعيده علينا بالبركات، وأن يكون عاما جديدا مباركا للجماعة من كل الجوانب، وأن يُخيّب الله خطط أعداء الجماعة كلها، ويوفق أفراد الجماعة المنتشرين في كل أنحاء العالم لأن يحققوا الهدف من خلقهم أكثرَ من ذي قبل. وادعوا للعالم بوجه عام بأن ينقذه الله من الحروب. الظروف لا تزال تزداد سوءا وخطورة، والدمار محدق بالعالم بشكل مخيف، ولا يُعلَم ما الذي سيحدث. كل واحد راكض وراء منافعه الشخصية. ندعو الله تعالى أن يرحم. وأكثِروا من الدعاء لإخوانكم المظلومين بأن يحمي الله تعالى الجماعة الإسلامية الأحمدية في السنة القادمة من كل نوع من الظلم والاعتداء.

الهوامش:

١. رواه الحاكم في المستدرك بسند حسن

٢. (صحيح البخاري، كتاب المغازي)

٣. (الروض الأنف، باب «إسلام حمزة")

٤. (المنتظم)

٥. (صحيح البخاري, كتاب المساقاة)

في التغني بالخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة

قصيدة

إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ إِمَامَ زَمَانِي

نظم: سامح مصطفى

الخلافة ظل الله الذي لا يكون إلا حيث تكون أشعة شمسه الساطعة، أي النبوة. والخلافة إنما تكون على منهاج النبوة إذا اتَّبَعَتْهَا صورةً وسيرةً، كاتِّباع قرص زهرة دوار الشمس في الأرض لقرص الشمس في السماء، فالحمد لله على ظل الخلافة يوم لا ظل الا ظله. وسبحانه جل وعلا، إذ جعلها خلافة واحدة تستعصي حتى على الجمع اللغوي، فلا تُجمع إلا على «خِلافات»، والعياذ بالله، هي إذن خلافة واحدة أقامتها يد قدرة الله الواحد. ولعظم هذا الأمر، كان التشديد النبوي على الاعتصام بحبلها، فقال رسول الله ﷺ: «مَن خَلَعَ يَدًا مِن طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَومَ القِيَامَةِ لا حُجَّةَ له، وَمَن مَاتَ وَليسَ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (رواه مسلم) **فحق لنا أن نتغنى بهذا المشروع الرباني العظيم الذي أقامه الله تعالى على عينه.**

إني قد عرفْتُ إمام زماني
من بعدِ قولِ نبيّنَا العدنانِ
فتبَارَكَ العُمرُ التَّعيسُ بيعةٍ
لسُلالةِ الأطهارِ والأعْيانِ
طُوبَى لَنا، قدْ أدْرَكتْنَا قُدرةٌ
وبَشارَةٌ مِن فاطرِ الأكوَانِ
حتّى غد وْنَا لعْدَ قحْطٍ مَاحِلٍ
غَصَّ الرّياضِ وناضرُ الأفتانِ
إنِّي أرَى عَصْرَ الخِلافَةِ عائِدًا
عَهْدًا رشِيدًا في الزمانِ الثاني

حادثةُ الإفكِ، ونظرةٌ في مُلابَسَاتِها وَبَواطِنِ أَطرافِهَا

مصر

حلمي مرمر

كيف صنع المنافقون من الحبة قبة!

أثناء العودة من غزوة بني المصطلق، وعلى مقربة من المدينة، شعر الجنود أنهم في حاجة إلى بعض الراحة، فاستراحوا، ولما أمرهم الرسول ﷺ بالتجهز لمواصلة العودة؛ وكانوا على مسافة من المدينة غير بعيدة، أرادت السيدة عائشة (رضي الله عنها) قضاء حاجتها، فانتحت جانبا على بعد من الأعين، ثم وهي عائدة؛ تبيّن أنها فقدت عقدًا لها، فعادت أدراجها تلتمسه، ثم لما عادت إلى الموضع الذي يحلّ به الجيش؛ لم تجد أحدا، وكان المكان خاليا تماما، فقد ارتحلوا، وحملوا هودجها ووضعوه فوق الجمل ظنًا منهم أنها فيه، فقد كانت خفيفة الوزن، وليس من السهل التفريق بين وجودها داخل الهودج من عدمه، فذهبت إلى حيث كانت تقيم قبل أن يرتحلوا، لعلهم يفتقدونها فيعودون بحثا عنها، إلا أن الليل قد حل وأُسدلت أستار ظلماته، فغلبها النوم، ولم تنتبه إلا على أشعة الشمس، وصوتٍ ينادي: من الجالس هناك، فاقترب منها، وعرفها، فما كان منه إلا أن استرجع قائلا: إنا لله وإنا إليه راجعون، وما لبث

التفكر في ملابسات حادثة الإفك تستوقف الذهن بضعة تساؤلات، إذ لماذا أشاع المنافقون تلك الشائعة المُغرِضة؟! ولماذا صدقهم بعض المؤمنين من الأتقياء الذين شهدوا بدرا وطالما نافحوا عن الإسلام بالسيف واللسان؟! وما الذي حملهم على تصديق كِذبة تطعن في شرف أم المؤمنين الطاهرة التي لم يعلم عنها كل مخلوق على الأرض إلا خيرا؟! فلو سألت هوامّ الأرض وطير السماء عن عائشة لاستنكروا سؤالك، واستنكروك، فليس مثلها يُسأل عنه، فما الذي يجعل الناس يسمحون لعقولهم أن تصدق ذلك الإفك، ثم كيف يسمحون لألسنتهم أن تخوض فيه؛ وهو

إلا أن حملها على ناقته متوجها صوب المدينة، وما أن رأى الناس ذلك إلا وبدأت تُنسَج خيوط تلك المؤامرة.

صفوان ﷺ المتهم البريء

إنه صفوان بن المعطل، فقير من فقراء المهاجرين، قيل أن الرسول ﷺ كان قد عينه للسير خلف الجيش لالتقاط ما يمكن أن يسهو عنه الجند، أو يسقط من الرواحل، فأي غرابة في التقائه بمن فقدتها القافلة وغادرت؟!

سيرة المتهم الناصعة تكفي لتبرئته!

بالتفكر في ملابسات حادثة الإفك تستوقف الذهن بضعة تساؤلات، إذ لماذا أشاع المنافقون تلك الشائعة المُغرِضة؟! ولماذا صدقهم بعض المؤمنين من الأتقياء الذين شهدوا بدرا وطالما دافعوا عن الإسلام بالسيف واللسان؟! وما الذي حملهم على تصديق كِذبة تطعن في شرف أم المؤمنين الطاهرة التي لم يعلم عنها كل مخلوق على الأرض إلا خيرا؟! فلو سألت هوامّ الأرض وطير السماء عن عائشة لاستنكروا سؤالك، واستنكروك، فليس مثلها يُسأل عنه، فما الذي يجعل الناس يسمحون لعقولهم أن تصدق ذلك الإفك، ثم كيف يسمحون لألسنتهم أن تخوض فيه؛ وهو مفترَى؟! فقد شهدت لها الخادمة «بريرة» قائلة: «ما رَأَيْتُ أَمْرًا أَكْثَرَ من أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عن عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ»[1]، وقد شهدت لها إحدى ضرائرها؛ زينب بنت جحش، وقالت ما علمتُ عنها إلا خيرا، بالرغم ما كان بينهما من سباق عادةً ما يكون بين الضرائر لاستمالة قلب الزوج، فما بالك لو كان هذا الزوج رسولَ الله وخاتمَ النبيين! فقد جاءتها الفرصة التي لا تسنح كل يوم للتخلص من منافسة شديدة القوة كي يخلو لها وجه الرسول إلى الأبد، وليس بعدها إلا منافسات ضعيفات، فقد تخلصت من المنافس الأقوى، لكن الذي حدث أنها شهدت شهادة حق، وتلك شهادة تستحق التوقف أمامها، أضف إلى ذلك

شهادة الرسول ﷺ نفسه في حقها، إذ قال أنه ما علم عنها إلا خيرا، ونفس تلك الشهادة شهدها في حق صفوان؛ الذي لا يكاد يذكره التاريخ إلا في هذه الحادثة، ولم يقل أحدٌ إن لقاءً جمعه بعائشة من قبل، ولا بغيرها، بل هو رجلٌ مغمور بين الرجال، فما الذي كان يدعوه لمثل ما يقولون وما الذي كان يدعوها، هل يقبل العقل أن من تتزوج محمدًا يمكن أن تفضل عليه غيرَه؟ هل في عموم الخليقة من هو جدير بأن ينافس محمدًا ويكون مفضَّلا عليه وقد فضلته السماء وجعلته سيدَ ولد آدم؟!

البُعد الحقيقي لاتهام أمنا عائشة (رضي الله عنها)

إن اتهام السيدة عائشة بمثل هذه الفرية الباطلة هو اتهام للدين في الحقيقة وهدمٌ له، فإن الجميع يعلمون أن الله هو من بشر النبي ﷺ بالزواج بها، وأراه صورتها على قماش من حرير قائلا له: هذه زوجك. ولو ثبُتت خيانتها فإن الرسول كان كاذبا "والعياذ بالله" في ادعاء بشرى الزواج منها وأن تلك البشرى من الله؛ عندما قال: «خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء»[٢]. هذه هي الرسالة التي أراد مختلقو هذه الشائعة ومروجوها أن تصل إلى أذهان الناس، وأن يتناولوها بالتحليل ليصلوا بهم إلى الشك في الدين، ومن ثم الارتداد عنه، وبالتالي تذوب رياسة الرسول للمدينة، ويقفز على كرسيّ رياستها من كان على وشك الجلوس عليه قبيل الهجرة، ويزول تهديده لسلطان العرب، فيظل كل منهم في مكانه ومكانته التي باتت مهددة بالزوال لا محالة بقدومه، وهكذا ينتهي أمر محمدٍ برمته دون عناء، وبلا أسلحة ولا قتال ولا نفقات باهظة، وبلا سفك قطرة دم.

إنها خطة يعجب الشيطان من حياكتها، ويعجز عن الإتيان بمثلها، وربما يأخذه الخجل فيستكثر الخوض فيها.

قيل فيما قيل أن الرسول ﷺ شك في عائشة، وكذلك أبوها وأمها، وإن شكّ هؤلاء فيكِ يا عائشة فماذا يتبقى لك من جدار تتكئين عليه وتستندين إذا ألمّت بك نازلةٌ كهذه؟ فما أثقلها من مصيبة! ولكن تحليل الأحداث وردود الأفعال ينفي ذلك نفيا تاما، فلم يقل الرسول أنها مذنبة، ولو برّأها لما أخذ الناس بتبرئته إياها قائلين: إن شهادته في حق عروس مجروحة، وربما تأتي بنتائج عكسية، واستدلوا من ذلك أنه ﷺ لا يعلم الغيب، إذ لو علمه لكذّبهم بما عنده من الغيب، والحق أنني أتعجب من هكذا أقوال، فلو لم يكن الله يُطلع رسولا

إن الجميع كانوا على يقين من كون الأمر إفكًا وفرية، وكانوا على يقينٍ أيضًا أن مثل هذا الإفك لا تكون براءته إلا من الله، إنه خاتم النبيين وأعظمهم، وإنها أم المؤمنين الفقيهة العالمة، وإن لهذا الإفك تأثيراً عظيما على الدين لابدّ من ردّه، ولا يكون الردُّ من أحد الناس ولو كان زوجًا رسولا، ولو كان أبًا صديقًا، فجاء الرد من السماء جامعا مانعا حكيما:

على الغيب ففيمَ كان قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...﴾[٣]. فلو قالوا إن الله لم يكن يُطلعه على الغيب فربما إنهم لا يرونه رسولا، ولكن كيف ذلك وهم من المسلمين؟ تلك التناقضات من العجائب، إذ كيف لصاحب القلب الشفاف، والبصيرة النافذة، الذي يؤيده الوحي فيما هو أقل شأنا من هذا؛ أن يتركه الله حائرًا بلا دليل به يهدأ قلبَه، وتطمئن نفسُه؟ كان الدليل معه، مستقرًا داخله، وإنما هو له، لا للناس، أما إعلان البراءة فلا يكون منه، بل من عالم الغيب والشهادة اللطيف الخبير، لذلك صمت، واحتسب، وانتظر.

ولما سألت السيدة عائشة والديها أن يردا على رسول الله ﷺ لتبرئتها مما يقول الناس قالا: لا ردّ لدينا، ماذا نقول؟ لم يكن المقصود أنهم أيضا يصدقون ما يقال، بل المعنى أن شهادتهم في حق ابنتهم لا قيمة لها في هذا الموقف، فهو يعرفها أكثر منهم، وشهادتهم لا تفيده بشيء، ولا تغني عن كلام الناس شيئا، فماذا يقول الوالدان في ابنتهما حتى لو كانت مذنبة، وهما يعلمان؟! ولأنهما يقرآن المشهد جيدًا، فامتنعا عن الشهادة، واحتسبا، وانتظرا.

إن الجميع كانوا على يقين من كون الأمر إفكًا وفرية، وكانوا على يقينٍ أيضًا أن مثل هذا الإفك لا تكون براءته إلا من الله، إنه خاتم النبيين وأعظمهم، وإنها أم المؤمنين الفقيهة العالمة، وإن لهذا الإفك تأثيراً عظيما على الدين لابدّ من ردّه، ولا يكون الردُّ من أحد ولو كان زوجًا رسولا، ولو كان أبًا صديقًا، فجاء الرد من السماء جامعا مانعا حكيما: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ.﴾[٤].

الهوامش:

١. صحيح البخاري
٢. جامع الترمذي
٣. (الجن ٢٧-٢٨)
٤. (النور ١٢)

هل تعيش الإنسانية عصر جاهلية ثانية؟!

الأردن

د. منى محمد

حال «الجاهلية» منشأ آفة التدهور الأخلاقي

السيئات بوصفها أمراضا روحانية تجري عليها نفس سنن الله الجارية على الأمراض الجسمانية، فلكل من المرضين أسبابه التي لو اجتنباها لكنا في مأمنٍ مِنْ أمراض الروح والجسد على حد سواء. والمجرمون بإزاء القانون صنفان، صنف يقترف الجريمة اجتراء، وهم عالمون بالقانون، وصنف يقترفونها جهلا بالقانون، فلا يكادون يشعرون أنهم يقترفون جرمًا أصلا، قال ابن قيّم الجوزية: «وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعِلْمَ الَّذي بَعَثَ به رَسُولَهُ نُورًا وَهُدًى وَحَيَاةً. وَسَمَّى ضِدَّهُ: ظُلْمَةً وَمَوْتًا وَضَلَالًا. فكُلَّ مَا عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ جَهَالَةٌ»[1].

فالجاهلون بهذا المعنى هم من يقترف الجرم وهم جاهلون به، فهؤلاء هم المعنيون بالإشارة القرآنية: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ...﴾[2].

وفي كتابه القيّم «الأحمدية، أي الإسلام الحقيقي» يمعن سيدنا المصلح الموعود ﷺ في تفصيل هذا المعنى، موضّحًا أن الجهل بالسيئة يغري بالوقوع فيها في أغلب الأحوال، يقول حضرته ﷺ: «أي الباعث على السيئات هو قلة المعرفة الإلهية. العقل الإنساني أيضا يؤيد هذا الإعلان القرآني فالعاقل لا يُدخل يده في النار قصدا، والذي يعرف أن طعاما ما قد دُس فيه السم لن يأكله أبدًا،

قدَّم سيدنا المصلح الموعود ﷺ شرحًا وافيا لمعنى الجاهلية، والذي يمكننا بلورته بالقول إنه العصر الذي كان الناس فيه يقترفون السيئات بمختلف صورها جهلا منهم بعواقبها الوخيمة، بل وظنًّا منهم أنها من المناقب والمحامد في بعض الأحيان!

ولو علم أحد أن سقف البيت سيسقط حتما بعد دخوله إليه لما دخله على الإطلاق، والذي يعلم أن في هذا الجحر أفعى لن يدخل فيه يده، ولو علم أحد أن أسدا يقبع في مغارة ما لما دخلها بلا أسلحة وعُدة وعتاد. فالذين يخافون النار والأفاعي والأسود والسموم إلى هذه الدرجة أنّى لهم أن يجترئوا، بعد الحصول على المعرفة الإلهية، على اقتراف السيئات وإساءة الخلق إذا كانوا قد عرفوا حق المعرفة أنها كالسموم، بل أكثر منها ضررا؟ فيتبين بجلاء أن ارتكاب السيئة يعود إلى الجهل وقلة المعرفة. والدين الذي يخلق المعرفة فكأنه يفتح على أتباعه بابا للحصول على مكارم الأخلاق»[٣].

من معاني الجاهلية

بالتفصيل السابق، قدَّم سيدنا المصلح الموعود ﷺ شرحًا وافيا لمعنى الجاهلية، والذي يمكننا بلورته بالقول إنه العصر الذي كان الناس فيه يقترفون السيئات بمختلف صورها جهلا منهم بعواقبها الوخيمة، بل وظنًّا منهم أنها من المناقب والمحامد في بعض الأحيان!

بتطبيق هذا القول على العصور التي مضت نجد أن معنى الجاهلية انطبق تماما أول مرة على العصر الذي سبق بعثة النبي ﷺ، فقد كان أحلك عصور البشرية، حتى إن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وصفه قائلا: «لقد بُعث سيدنا ومولانا محمد ﷺ في زمن كان العالم فيه قد فسد وخرب من كل الوجوه كما يصفه الله تعالى بقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾(الروم:٤٢)، وتفشي الفساد في البر والبحر فيه إشارة إلى أن الفساد قد عم أهل الكتاب وغيرهم من الأمم المحرومة من ماء الوحي. وعليه فإن هدف القرآن المجيد في الحقيقة هو إحياء الموتى. كان العرب يومئذ قد تدنوا إلى أحط درجات الهمجيّة. لم يعُدْ لديهم أي نظام يعلمهم القِيمَ الإنسانية. وكانت المعاصي مفاخر عندهم يتباهون بها»[٤]. ومع ذلك، ففي غضون عقدين من الزمن، غيّرت تعاليم القرآن الكريم حياتهم تغييراً جذريًا، فرفعت المتوحشين إلى مستوى الإنسان، ثم زوّدتهم بالصفات الأخلاقية، ورفعتهم أخيراً إلى مصاف الصالحين. لقد انتقلوا من أناس عُرفوا بالحروب القبلية والثأر إلى أرض ينعمون فيها بالسلام والأمن، كما أنبأ النبي ﷺ في قوله: «واللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمْرُ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلَّا اللَّهَ، والذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ،

ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[٥]. فالحق أن العالم لم يشهد من قبل مثل هذا التحول العظيم والمعجز في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن.

تتوالى العصور، والجاهليات أيضًا!

من المؤكّد أن هناك ممن يقرأون القرآن الكريم، قلُّوا أم كثروا، تستوقفهم هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾[٦]، لتبدأ بعد قراءتها حال لذيذة من تداعي الأفكار، فالشيء لا يستحق وصفه بالأول إلا إذا أُتبِعَ بثان، وهنا ينطرح تساؤل كبير مفاده: «هل مر العالم، أو يمر أو سيمر، بعصر جاهلية آخر غير الذي كان قبل مبعث سيدنا محمد ﷺ؟!»..

لننظر أولا في مظاهر الجاهلية التي كانت قبل مبعث سيدنا محمد ﷺ، والتي قُضي عليها تماما بإشراق الأرض بنور ربها ببعث ذلك الإنسان وتبليغه رسالة القرآن.

ففي المجال العقائدي، ظهر الإلحاد المعروف بصورته الشائعة قديمًا بالشرك بالله مع الاعتراف بوجوده تعالى وأنّه الخالق المدبّر كما كان في مشركي العرب، وقد أثبت الله تعالى ذلك في كتابه فقال عن إقرارهم بخلق الله ﷻ للكون: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٢). مع وجود فئةٍ نادرةٍ تنكر وجود الله تعالى بالكلية[٧].

وعلى الصعيد الاجتماعي فحدِّث ولا حرج، فقد كانت المرأة عرضة لأبشع صور الاستغلال، لا في بلاد العرب وحدها، بل وحتى في بقاع العالم المتحضّر قديما كذلك، ونكتفي من تصفحنا لوضع المرأة لدى الحضارات القديمة بشيء من التشريع الروماني، والذي يُعرف عنه أنه جرد المرأة من معظم حقوقها المدنية في مختلف مراحل حياتها، فلم تكن لها أهلية أو شخصية قانونية، وقد كان القانون يعد «الأنوثة» سببًا من أسباب عدم الأهلية، كحداثة السن أو الجنون...»[٨].

لقد صدق رسول الله محمد ﷺ عندما أنبأ بغلَبَة الجهل شيئًا فشيئًا على العلم وانتشاره بين الناس في العصور التالية لعصره، حيث جاء في الرواية عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «يَذْهَبُ قُرَّاؤُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ، وَيَتَّخِذُ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا، يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ»[٩].

واليوم ونحن نودع الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، وحيث نعيش عصرًا يشهد تقدمًا تكنولوجيًا هائلًا، وتطوراتٍ طبيةً، وعجائبَ آسرة، ولكنه يشهد أيضًا شكوكًا عقائدية، واضطراباتٍ اجتماعية، واضطرابًا أخلاقيًا. فعلى الصعيد العقائدي في هذا العصر يشهد العالم تزايدًا سريعًا في أعداد اللاأدريين والملحدين، وخاصةً بين الشباب، حيث تتراوح أعمار حوالي ٤٠٪ من الملحدين بين ١٨ و٢٩ عامًا. ووفقًا لاستطلاعاتٍ حديثة، تدخل بريطانيا أول «عصرٍ للإلحاد» فيها، حيث يفوق عدد الملحدين عدد المؤمنين. لذا فإننا لا نجانب الصواب إذا قلنا إن هذا عصر «جاهلية حديثة»، ففي غمْرَتِه نسيت البشرية بارئها وهَجَرَتْهُ، ونتيجةً لذلك، انحدر النظام الأخلاقي والاجتماعي إلى أدنى مستوياته[١٠].

وعلى الصعيدين النفسي والاجتماعي، بلغت معدلات الاكتئاب والقلق لدى الشباب أعلى مستوياتها عالميًّا. وفي عام ٢٠٢٤ وحده، راح أكثر من ١٢٠ ألف شخص

... نعيش عصرًا يشهد تقدمًا تكنولوجيًا هائلًا، وتطورات طبيةً، وعجائبَ آسرة، ولكنه يشهد أيضًا شكوكًا عقائدية، واضطرابات اجتماعية، واضطرابًا أخلاقيًا. فعلى الصعيد العقائدي في هذا العصر يشهد العالم تزايدًا سريعًا في أعداد اللاأدريين والملحدين، وخاصةً بين الشباب.... ووفقًا لاستطلاعات حديثة، تدخل بريطانيا أول «عصرٍ للإلحاد» فيها، حيث يفوق عدد الملحدين عدد المؤمنين. لذا فإننا لا نجانب الصواب إذا قلنا إن هذا عصر «جاهلية حديثة»، ففي غمْرَتِه نسيت البشرية بارئها وهَجَرَتْهُ، ونتيجةً لذلك، انحدر النظام الأخلاقي والاجتماعي إلى أدنى مستوياته.

في أمريكا ضحيَّة جرعات زائدة من المخدرات. وخلال عام ٢٠٢٣، انتحر أكثر من ٤٩ ألف شخص. كما أشارت الإحصائيات إلى تعرض امرأة من بين خمس نساء لاعتداء جنسي، وأفادت ٨١٪ منهن بتعرضهن للتحرش الجنسي في حياتهن. وفي أمريكا وحدها، تُجرى أكثر من مليون عملية إجهاض سنويًا. وتُعلِن مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها رقما مفزعا لمعدل الإصابة السنوي بالأمراض المنقولة جنسيًا، إذ تخطَّى حاجز المائتين وأربعة ملايين حالة سنويا![١١]

والإحصائية الأكثر إثارة للقلق تقول بأن حوالي طفل واحد من كل ٢٠ طفلًا في المملكة المتحدة تعرض لاعتداء جنسي. في عام ٢٠٢٢، تلقت الشرطة ١٠٧ آلاف بلاغ عن اعتداء جنسي على الأطفال، وهو رقم يفوق أربعة أضعاف ما كان عليه قبل عقد من الزمن.

وعلى الصعيد الاجتماعي الأُسري تجاوزت حالات الطلاق نسبة الخمسين بالمائة في العديد من البلدان.

وعلى الصعيدين السياسي والاقتصادي دلَّت استطلاعات الرأي على أن ١٦٪ فقط من سكان الدول المتقدمة يثقون بحكوماتهم، إذ إنها تُنفق المليارات على الحروب، وفي المقابل يعاني الملايين من الجوع والمجاعة. ولا يزال الأغنياء والأقوياء يستولون على ثروات الأفراد أو الدول الضعيفة. إذ إن نسبة ٧٠٪ من إجمالي الثروة حكرٌ لدى ١٠٪ فقط من الناس[١٢].

إن هذه الإحصائيات تعكس حقائق مروعة، وتلك الحقائق هي نفسها ما يدفع الناس حول العالم إلى رفع أصواتهم في الاحتجاجات العامة والمسيرات والمظاهرات المطالبة بالتغيير. العديد من هذه الحركات الاحتجاجية معروفة، مثل حركة «حياة السود مهمة» لإنهاء العنصرية الممنهجة، وحركة «أنا أيضًا» لمكافحة مظاهر الاعتداء على النساء والتحرش الجنسي بهن، وحركة «حق الفتيات في التعليم» لتعزيز الحق الأساسي للفتيات والنساء في التعليم[١٣].

الجاهلية لا تعني التأخر العلمي بالضرورة

من يظن أن الناس في عصر الجاهلية الأولى كانوا يعيشون حالا من التدني على صعيد رفاهيات الحياة فإن الصواب يُجانبه حتما، حيث يثبت تاريخيا أن الناس

في عصر الجاهلية الأولى الذي كان قبل مبعث سيدنا محمد خاتم النبيين ﷺ كانوا قد بلغوا شأوًا بعيدا، بمقاييس عصرهم بالطبع، ففي القرن السادس الميلادي، والذي شهد مبعث خير الورى ﷺ، كانت مظاهر الرفاهية تتجلى بشكل رئيسي في الدول الكبرى، كالإمبراطورية البيزنطية، والتي شهدت ازدهارًا عظيمًا في العمارة والفنون والعلوم. وقد شُيِّدَت العديد من الكنائس الفخمة مثل كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية، والتي تعد بحد ذاتها تحفة معمارية. وفي مجال العلوم استمرت الإمبراطورية البيزنطية في الحفاظ على المعرفة اليونانية والرومانية القديمة، وقدمت مساهمات بارزة في مجالات عديدة مثل الطب والفلك والرياضيات. وفي المجال التشريعي وضع الإمبراطور جستنيان تشريعاته المعروفة بـ «قانون جستنيان»، والتي كان لها بصمتها الواضحة في التشريعات الأوربية اللاحقة.

غاية القول إن العالم لم يكن يَعدم سبُل الرفاهية المادية في عصر الجاهلية، بل كما عبَّرت آي الذكر الحكيم عن حياة الناس في ذلك العصر: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ.﴾[١٤]. وإنما وصلتنا تلك الفكرة المغلوطة عن ذلك العصر بتأثير مشاهدة الأعمال الدرامية، والتي كانت تقدّم الشخصيات الجاهلية المشهورة، كأبي جهل وأبي لهب ومن شاكلهما، في صورة مادية تشمئز منها النفوس، علما أن الحقيقة كانت على النقيض من ذلك، فقد كان عتاة الجاهلية

على درجة عالية من حسن الصورة ورفعة الثقافة ورفاه العيش، وإنما كانت جاهليتهم في عدم إدراكهم حقيقة الأمور الروحية وما ينتظرهم في الآخرة. وهذا كان من شأنه أن يجعل من حياتهم مسرحًا لعمليات الشيطان ووساوسه دون أن يدركوا بتاتا الهدف من وجودهم، وهذا وحده كان كفيلا بإحداث كافة الشرور المذكورة في الفقرات السالفة من هذا المقال بإحصائياتها المُفزعة، ولله در القائل:

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ
وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ (١٥)

إذن، أين طريق الخلاص؟!

ضرورة البيعة، والموقف الإلهي من الجاهلية كما نَتَيَقَّنُه

لم يترك الله ﷻ خليقته هكذا في خضم الجاهلية دون أن يبعث لها ومنها وفيها مبعوث عنايته ودليل هدايته، وليس معنى شيوع مظاهر الجاهلية ثم زوالها في عصر ما إلا كتعاقب الليل والنهار، هذا التعاقب المعدود آية من آيات الله تعالى في خليقته، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ.﴾(١٦).

إذن، فيقيننا في الله تعالى وفي حسن أسمائه يدفعنا دفعًا إلى الإيمان بأنه ﷻ لا يمكن أن يجعل الجاهلية نهاية المطاف، بل ثمة مُخلّص من الغرق فيها والضلال في ليلها البهيم، ذلك المُخلِّص هو نفسه إمام الزمان الذي وجبت مبايعته، ودون ذلك الغرق في لجة الجاهلية المظلمة ومآسيها، فبحسب رواية الإمام جعفر الصادق: «من بات ليلة لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»(١٧).

الهوامش:

١. ابن قيّم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ — ١٩٩٦ م
٢. (النساء: ١٨)
٣. مرزا بشير الدين محمود أحمد، الأحمدية.. أي الإسلام الحقيقي، ص١٢٨
٤. مرزا غلام أحمد القادياني، فلسفة تعاليم الإسلام.
٥. صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٦٩٤٣
٦. (الأحزاب: ٣٤)
٧. أحمد الخضر المحمد، قراءة في أنواع الإلحاد، مجلة رواء، ٢٥ يونيو ٢٠٢٢م
٨. سامح مصطفى، الإسلام والمرأة، والقرن الحادي والعشرون، مجلة التقوى، مارس ٢٠١٧م.
٩. أبو القاسم شمس الدين الأصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، ج٣، ص١٦٠، دار المدني، السعودية، ط١، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م
١٠. أظهر حنيف، خطاب بعنوان ''تعاليم الإسلام للحد من التدني الأخلاقي الاجتماعي''، في الجلسة السنوية الـ ٥٩ بالمملكة المتحدة بتاريخ ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م.
١١. نفس المصدر السابق
١٢. نفس المصدر السابق
١٣. نفس المصدر السابق
١٤. (الروم: ٨)
١٥. علاء الدين المرداوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ج١٢، ص٢٧٢، دار إحياء التراث العربي، ط٢، د. ت.
١٦. (آل عمران: ١٩١)
١٧. ابن الدمشقي، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب، ج٢، ص١٣٦

الاضطراب الاكتئابي وعَوَز فيتامين أشعة الشمس

الهند

الدكتورة ثمر حفيظ

كلما دارت عجلة الزمان لتنتقل بركب التحضُّر إلى الأمام، تكون الإنسانية قد قطعت بالفعل مسافة على طريق الرقي المادي، ولكن هذا الرقي لم يُتح هكذا مجانا دون ضريبة، بل دفعت الإنسانية ثمنا باهظًا كان سداده على حساب الصحتين الجسدية والنفسية، واللتين ليستا في الواقع سوى وجهين لنفس العملة.

ومن بين الضرائب التي تسددها الإنسانية من رصيد صحتها النفسية، يبرز الاكتئاب، بوصفه اضطرابًا نفسيًّا معقدًا ذا تأثير سلبي حاد على مشاعر المصاب به، وتفكيره، وسلوكه. ولا يقتصر هذا الاضطراب على كونه مجرد شعور عابر بالإحباط أو الحزن، وإنما هو حالة مرضية تتعدى في شدتها ومدتها ردود الفعل الطبيعية إزاء تحديات ومصاعب الحياة اليومية العادية.

وثمة اتفاق بين المختصين في علم النفس والاجتماع على حقيقة أن الاكتئاب يُعد المشكلة الصحية العامة الأولى عالميًا. وتُصنّفه الجمعية الأمريكية لعلم النفس بأنه الاضطراب العقلي الأكثر شيوعًا. وفي بلد مكتظ بالسكان كالهند، تُظهر الإحصائيات ارتفاعًا مُذهلًا في معدلات الإصابة بالاكتئاب سنويًا، وهذا من شأنه أن يوضح مدى خطورة الأمر! لا سيما وأن الاضطراب الاكتئابي لا يستهدف فئة عمرية أو جنسية معينة، بل إن جميع الفئات العمرية تقريبًا معرضة للإصابة به، وحتى بغض النظر عن الجنس.

لقد بات معظمنا يعلم أن الاكتئاب مرضٌ متعدد الأشكال

وثمة اتفاق بين المختصين في علم النفس والاجتماع على حقيقة أن الاكتئاب يُعد المشكلة الصحية العامة الأولى عالميًا. وتُصنّفه الجمعية الأمريكية لعلم النفس بأنه الاضطراب العقلي الأكثر شيوعًا. وفي بلد مكتظ بالسكان كالهند، تُظهر الإحصائيات ارتفاعًا مُذهلًا في معدلات الإصابة بالاكتئاب سنويًا، وهذا من شأنه أن يوضح مدى خطورة الأمر! لا سيما وأن الاضطراب الاكتئابي لا يستهدف فئة عمرية أو جنسية معينة، بل إن جميع الفئات العمرية تقريبًا معرضة للإصابة به، وحتى بغض النظر عن الجنس.

وله محفزاتٌ عديدة.. وكم من الأبحاث التطبيقية أُجرِيت بهدف الكشف عن المتورط الحقيقي في الإصابة به!

نقص فيتامين «د» في قفص الاتهام!

إن تاريخ الأمراض والممارسة الطبية يقر بأن معظم الأمراض التاريخية لم تكن في حقيقتها سوى أعراضًا لنقص أنواع من الفيتامينات، أو ما يُطلِق عليه البعض مصطلح «العَوَز الفيتاميني»، وهو حالة مرضية تنشأ عن عدم كفاية المخزون الفسيولوجي لفيتامين معين، مما يؤدي إلى ظهور سلسلة من المظاهر الكيميـ – حيوية (البيوكيميائية) والسريرية المحددة[1].

وقد احتفظ لنا التاريخ الطبي بشهادات موثقة عن أمراض عضوية مثّلت خطورة في وقتها، ثم اكتُشف فيما بعد أنها لم تكن سوى مظاهر للعوز الفيتاميني، من تلك الأمراض مرض الإسقربوط، الذي تفشّى بين البحارة في كل أنحاء العالم، ثم اكتشفنا أنه لم يكن سوى عرضًا لنقص فيتامين ج (فيتامين C).

وهذا المقال مساحة لمناقشة ما إذا كان العوز الفيتاميني يقف وراء الاضطراب الاكتئابي، وإذا كان هذا صحيحًا، فأي نوع من الفيتامينات ذلك الذي يتسبب نقصه الحاد في تلك الكارثة النفسية!

لقد خلصت العديد من الأبحاث السريرية إلى وجود مستقبلات فيتامين د في مناطق الدماغ المرتبطة ببدء الاكتئاب. كما وُجد أن فيتامين د يؤثر على عدد من الهرمونات، مثل السيروتونين والدوبامين، والمعروفة على نطاق واسع باسم «هرمونات السعادة». كما لوحظ بوضوح مدى تحكم فيتامين د بكيفية عمل هذين الهرمونين. كما توصَّلت الأبحاث السريرية المذكورة إلى أن العديد من أدوية مضادات الاكتئاب تؤدي وظيفتها عن طريق زيادة نسبة هرموني السيروتونين والدوبامين في الدماغ.

وتشير مراجعة بحث دولي إلى أن أكثر من ٣١ ألف شخص شاركوا في ١٣ دراسة رصينة في هذا المضمار، وأظهرت النتائج وجود علاقة تلازمية واضحة بين انخفاض مستويات فيتامين د والاكتئاب.

ووفقًا لدراسة أخرى أُجريت في هولندا وشملت ١٧٠٢ شخصًا، وُجد أن انخفاض مستويات فيتامين د بشكل ملحوظ يُسبب ظهور أعراض الاكتئاب لدى الأفراد.

يبدو أن أحد أنواع الاكتئاب الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بفيتامين د هو الاضطراب العاطفي الموسمي (SAD)، وهو اضطراب مزاجي يتميز بأعراض اكتئابية خلال فترات معينة من السنة، حيث يتفاوت منسوب أشعة الشمس بين فصلي الصيف والشتاء. فخلال فصل الشتاء يقل منسوب أشعة الشمس عنه في الصيف، بشكل ينخفض معه منسوب إنتاج فيتامين د في الجسم، الأمر الذي يفسر انتشار الأعراض الاكتئابية في البلدان الضبابية أو الغائمة، كبلدان أوروبا مثلا، بدرجة أكبر من انتشاره في البلدان المشمسة.

فيتامين «د».. أي نوع من الفيتامينات هذا؟!

فيتامين «د»، المعروف أيضًا باسم فيتامين أشعة الشمس، هو مُحفِّزٌ لهرمون ستيرويدي. كان يُعتقد في البداية أنه يلعب دورًا في تمعدن العظام للحفاظ على قوتها وصحتها، ولكن مع مرور الوقت، ربطت الأبحاث انخفاض مستويات فيتامين د بالسمنة، وأمراض القلب، والسكري، والسرطان، واضطراب القلق، والاكتئاب.

أعراض يجب الانتباه لها، ووصفة تشخيصة مجانية، ننصح باستغلالها

من أدق الوسائل لقياس مستوى فيتامين د في الجسم هي فحص الدم المُهدرج في هيدروكسيل ٢٥ 25(OH)D). لاحظ الأطباء الممارسون أن مستويات فيتامين د لدى الكثيرين تبدو متدنية، بينما المستويات المثالية يجب أن تتجاوز ٣٥ نانوغرام لكل ملليلتر.

فإذا كنت تعاني من نقص فيتامين د، فقد تواجه بعض الأعراض الجسدية، كآلام العظام وآلام المفاصل، والصداع وآلام الظهر والرقبة، وفقدان الوزن بشكل ملحوظ دون اتباع حمية غذائية، وضعف القدرة على التحمل العضلي مع تقلصات العضلات وضعفها، والتعب والضعف العام، وصعوبة فقدان الوزن بالنسبة لأصحاب الوزن الزائد، وانخفاض المناعة، وانخفاض القدرة على التحمل والشعور بالإنهاك والضعف العام من بذل أدنى مجهود، بل حتى من دون بذل أي مجهود أحيانا.

كذلك قد تشعر أيضًا بأعراض اكتئابية، من قبيل الحزن الشديد، واليأس، والشعور بالفراغ، وفقدان الشغف أو المتعة في ممارسة الأنشطة، حتى المحببة منها، إضافة إلى فقدان الشهية، ولا يمكن أن نتجاهل الأرق أو فرط النوم المتكرر كل يوم تقريبًا. كذلك يُعد الخمول مؤشرا على أعراض الاكتئاب، ناهيك عن بعض مشاكل في التركيز، زد على ذلك ما نسميه بالتحريض، أو التخلف النفسي الحركي، والمتمثل في الأرق أو الخمول، علاوة على أفكار انتحارية متكررة.

العلاقة بين نقص فيتامين د والاكتئاب

تحمل الفيتامينات والمكمّلات الغذائية منافع عديدة لا

تحمل الفيتامينات والمكمّلات الغذائية منافع عديدة لا تتوقّف عند الصحّة الجسدية فقط بل تطال أيضا الصحة النفسية والحالة المزاجية، وحين يُطرح على مائدة الحديث مناقشة موضوع الفيتامينات، لا يمكن غضّ الطرف عن فيتامين "د"، بما له من دور فعَّال في تحسين الحالة المزاجية والتخلّص من القلق والتوتّر بفضل فعاليته في إفراز هرمون مثل السيروتونين، وهو الهرمون المسؤول عن السعادة والمزاج الجيّد.

تتوقّف عند الصحّة الجسدية فقط بل تطال أيضا الصحة النفسية والحالة المزاجية، وحين يُطرح على مائدة الحديث مناقشة موضوع الفيتامينات، لا يمكن غضّ الطرف عن فيتامين ''د''، بما له من دور فعَّال في تحسين الحالة المزاجية والتخلّص من القلق والتوتّر بفضل فعاليته في إفراز هرمون مثل السيروتونين، وهو الهرمون المسؤول عن السعادة والمزاج الجيّد.

وتفصيلاً للقول في مدى وكيفية تأثير السيروتونين في الجسم، لا نجد بدًا من قصد المختصين وسؤالهم عن هذا الأمر، وبهذا الصدد ننقل سطورًا من صفحة الشبكة الطبية المتخصصة جاء فيها عن ''السيروتونين'' ما نصه: ''في الواقع لا يقتصر تأثير السيروتونين على جسمك فقط، بل يؤثر أيضًا على عواطفك وعلى مهاراتك الحركية، حيث يؤثر على: الاكتئاب، القلق، شفاء الجروح، تحفيز الغثيان، صحة العظام وغيرها... يعتقد أن السيروتونين كناقل عصبي ينظم القلق والسعادة والحالة المزاجية العامة، بينما يرتبط انخفاضه بالاكتئاب، وأما ارتفاعه فيبدو أنه يساهم في زيادة الشعور بالإثارة والحماس''[٢].

مصادر غذائية لفيتامين د

من أفضل الطرق للحماية من أعراض نقص فيتامين د اتباع سلوك غذائي سليم، بحيث يكون الغذاء المصدر الرئيسي لإمداد الجسم بما يحتاج إليه من هذا الفيتامين الضروري. ويمكن الحصول على فيتامين د بتناول الأسماك الدهنية مثل التونة والبوري، والماكريل، والسلمون، والسردين، والأسماك المدخنة، كالرنجة.

ويحتوي زيت كبد سمك القد على ٤٥٠ وحدة دولية من فيتامين د لكل ملعقة صغيرة (٥ مل)، ومن بين الأطعمة البحرية يشكل المحار والروبيان مصدرا ثريا بفيتامين د. وإضافة إلى الأطعمة البحرية، يمكن أيضا الحصول على نسب وفيرة من فيتامين دال بتناول صفار البيض، واللبن، وعصير البرتقال، وحليب الصويا، والفطر، علما أن الفطر يقوم بتصنيع فيتامين د عند تعرضه للأشعة فوق البنفسجية. ناهيك عن التزود بفيتامين دال بصورة مركزة من خلال تناول المكملات الغذائية. علما أنه بالنسبة للمصابين بالاضطراب الاكتئابي لا تكون مكملات فيتامين د سوى جزءا من خطة علاجية شاملة. وسواءً اعتمدنا على الأدوية أو الطرق الطبيعية، يجب أن تشمل الخطة العلاج النفسي. مع ذلك، قد يُعيق انخفاض مستويات فيتامين د التعافي

من الاكتئاب ويُطيله. لذا، يُفضل دائمًا علاج المشكلة بشكل شامل!

تعرَّض للشمس، واصنع فيتامينك!

يُعد التعرض لضوء الشمس المباشر في الأوقات المثالية من أفضل الخيارات على الإطلاق لحصول الجسم على ما يكفي فيتامين د. من الشمس (على الأقل لمدة ١٥ دقيقة يوميًا) في منتصف النهار، أي بين الساعة ١١ صباحًا و١ ظهرًا. في هذا الوقت، تكون أشعة الشمس في أعلى مستوياتها، ويستطيع جسمك إنتاج فيتامين د بكفاءة أكبر في وقت أقل.

احصل أيضًا على مكملات فيتامين د إذا كانت مستويات فيتامين د لديك منخفضة للغاية، والكمية اليومية الموصى بها (RDA) هي ٦٠٠ وحدة دولية يوميًا، بالإضافة إلى كيس ٦٠٠٠٠ وحدة دولية من فيتامين د في الحليب/ الزبادي مرة واحدة كل شهر لمدة ٤-٦ أشهر (راجع طبيبك لمزيد من المعلومات)

حذارِ من الدهانات الواقية من أشعة الشمس!

إن الخصائص العلاجية لأشعة الشمس الطبيعية لا يمكنها اختراق الزجاج، من ثم لا يمكنك الجلوس داخل منزلك أو سيارتك وجني فوائدها وأنت قابع داخل منزلك أو سيارتك المكيفة ذات النوافذ الزجاجية العاكسة لضوئها.

كذلك يجب أن يُدرك أصحاب البشرة الداكنة أنهم يحتاجون أكثر من غيرهم بنحو ٢٥ مرة إلى التعرض لأشعة الشمس من أجل إنتاج نفس الكمية من فيتامين د. الأمر الذي يكشف النقاب عن حكمة الخلاق العليم في العلاقة العكسية الظاهرة بين المناخ ودرجة لون البشرة! فذوو البشرة الداكنة يحتاجون إلى التعرض لضوء الشمس بمعدل أكبر بنحو ٢٥ مرة من ذوي البشرة الفاتحة لإنتاج نفس الكمية من فيتامين د.

وهنا لا يمكننا إغفال الأثر السلبي الخطير للدهانات الواقية من أشعة الشمس Sun Block، من أقوى أنواعها إلى أضعفها، إذ تمنع الجسم من إنتاج فيتامين د بنسبة ٩٥٪.

وأخيرا

لطالما كان علاج أعتى الأمراض عبر التاريخ على بعد رمية حجر أو كبسة زر، ولم يكن الأمر برمته يحتاج إلا إلى شيء من التدبر في عمل الخلاق العليم، الذي لم يخلق داء إلا وخلق دواءه. وليس فيتامين دال ودوره الحيوي في تحسين المزاج النفسي، ناهيك عن الكفاءة الجسدية، ليس سوى قطرة ضئيلة في بحر مواج من نعم الله تعالى.. فكم هي عظيمة تلك النعمة! فما بالنا بعظمة المنعم!

الهوامش:

١. دليل ميرك التشخيصي والعلاجي (The Merck Manual of Diagnosis and Therapy)

٢. مها بدر، السيروتونين: ما هو وماذا يفعل في أجسامنا؟

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 38 - Issue 6, October 2025

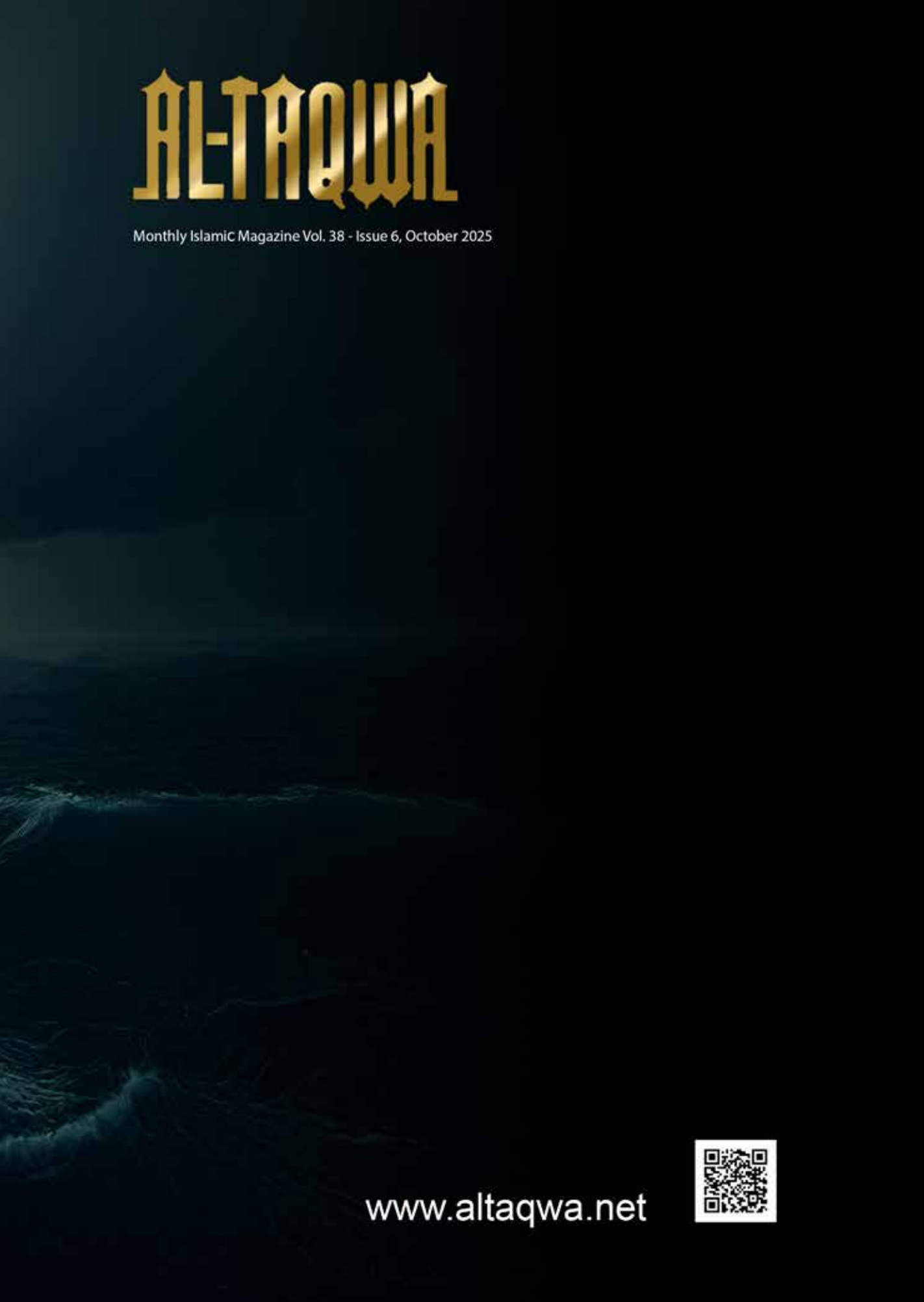

www.altaqwa.net